الفصل الخامس والعشرون

الأدب[1]

فى العالمين اليونانى والرومانى ، كما فى أيامنا هذه، يوجد فرق واضح بين المؤلفات الأدبية والكتب الفنية التى تستهدف التعليم أكثر مما تستهدف الإمتاع . وفى اللغة اليونانية ، لم يكن المرء مضطراً إلى أن يتحدث عن الأدب وإنما كان يتكلم ببساطة عن الحروف (ta grammata) . ويسمى المشتغل بها فيلولوجيا (philologos) . وإن علمها سمى معلم البيان (logodidoskalos) وفى اللغة اللاتينية سمى الأدب حروفاً litterae ، وسميت دراسته إنسانيات (humanitas) ، أو الفنون الأصلية ، أو أفضل الفنون ، أو الفنون النبيلة ، أو الفنون الحرة ، أو دراسة الحروف (studia litterarum) وهلم جراً. ونحن نقابل فى لغتنا بعض هذه التعبيرات عندما نتحدث عن الإنسانيات والفنون الحرة . وقد خفف أحياناً من هذه الفروق فى كل من العالمين اليونانى والرومانى وجود شعر تعليمى كقصائد أراتوس ونيكاندروس . ومثل هذا النوع من الشعر عادة ضعيف. ولكن كتاب لوكريتيوس . عن « طبيعة الأشياء » و « زراعيات » فرجيل هى الاستثناء الشهير .

يدور تاريخ الآداب اليونانية والرومانية طبعاً حول الشعراء وكتاب النثر الجميل . أما العلماء أمثال هيبارخوس وفيتروفيوس فيتركون جانباً أو يعالجون بقدر . ونحن مضطرون . فى هذا الكتاب ، إلى أن نفعل العكس ، لأن معظم أبطالنا من كبار العلماء . ومن المخجل أن ندع الفنانين جانباً. وسنقدم فى هذا الفصل وفى الفصل السابع والعشرين أشهرهم . ليتذكر القارئ أمجاد هذا العصر الفنية والأدبية . ولما كانت اللغة هى وسيلة التعبير الأدبى أصبح لزاماً علينا أن نقسم موضوعنا إلى قسمين رئيسيين : اليونانى والرومانى.

ويسمح هذا التقسيم بإلقاء نظرة على تناقض مذهل : فبينما تأخذ الآداب اليونانية فى الانحطاط ، ينشأ الأدب اللاتينى وينمو بقوة الشباب .

الآداب اليونانية

إذا قارنا بين شعراء القرن الثالث ، وعلى الأخص ثيوكريتوس ، وكان فناناً عظيماً ، وبين أولئك الذين عاشوا فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد بدا صغر الأخيرين . وإنى لا أستطيع أن أفكر فى أى شاعر ازدهر قبل نهاية القرن الثانى ، ولا أجد من المستطاع أن أذكر أكثر من عدد قليل — ميلياجروس و فيلوديموس وأرخياس وبارثينيوس — وجميعهم على نحو مميز من أتباع مدرسة الإسكندرية فى أسوأ أشكالها .

ميليا جروس الجدرى :

كان أعظمهم وهو من بلدة جدر [٢١] . (حوالى سنة ١٤٠ — ٧٠ ق.م) ومن أب يونانى . وجدر مركز صغير للثقافة اليونانية وهى مسقط رأس مينيبوس . وقد بدأ ميليا جروس تعليمه فى جدر وخضع لأثر مينيبوس ، ثم رحل بعد ذلك إلى صور ، أقرب العواصم إليه . دبج قصائد غزلية كثيرة اتصف بعضها بالرشاقة ، وكتب رسالته عن الحور Charites = Gracèe ، استخدم فيها إلى حد ما أسلوب مينيبوس ، وهو مزيج من النثر والشعر ، من السخرية والحكمة ، وطرأت له فكرة جمع أشعاره وأشعار كل الشعراء السابقين فى جميع العصور وعددهم يقرب من الأربعين . وسميت هذه المجموعة بالتاج Stephanos وكانت حرفياً مختارات (أنثولوجيا) وقد قارن فى المقدمة كل قصيدة بزهرة ، فكأن الكل باقة كاملة. ولم تكن هذه المجموعة الأولى من نوعها فى العالم القديم ، ولكنها كانت أغنى من سابقاتها ، ولفتت النظر كثيراً ، وكانت النموذج الذى اقتدى فى المجموعات المتأخرة، ولا سيما المجموعتين الشهيرتين اللتين قام

على جمعهما قسطنطين كيفالوس (ازدهر ٩١٧) وما كسيموس پلانوديس (فى عام ١٣٠١)[٣] . وهما فى الواقع عمل عظيم .

فيلوديموس :

من جدر أيضاً. وكان شاعراً من أتباع الفيلسوف أبيقور ، ومعاصراً لشيشرون . وقد أدمجت قصائده (حوالى ثلاثين) فيما بعد فى مجموعة «التاج» فى طبعتها الثانية ، التى أشرف عليها فيليبوس السالونيكى (حوالى ٤٠ بعد الميلاد) .

أرخياس الأنطاكى :

كتب قصيدة فى حروب ميثريداتيس . ومن أهم أسباب شهرته أنه كان عاملا لشيشرون. وقد أدمجت أشعاره أيضاً فى مجموعة « التاج » فى طبعتها الثانية .

بارثينيوس النيقى :

أسر فى حروب مثريداتيس. ونقل إلى روما ولكنه سرعان ما أعتق لعلمه . وقد استقبلته الأوساط الأدبية أحسن استقبال وأصبح من أصدقاء كورنيليوس جاللوس (حوالى ٦٦ — ٢٦ ق.م) وڤرچيل . ويقال إنه هو الذى علم ڤرچيل اللغة اليونانية . وقد ضاع كل شعره (الإيليچى والميثولوجى) ولم تصلنا إلا مجموعة من قصص الحب كتبت نثراً Peri eroticon pathematon وقد كتبت لتعليم كورنيليوس جاللوس ، وأهديت له .

وزعم بعضهم أن بارثينيوس عاش حتى نهاية عصر أغسطس ، وهذا غير ممكن إلا إن كان قد عمر فوق المائة ، لأن حروب ميثريداتيس لم تنته حتى سنة ٦٤ ق.م ، وعاش أغسطس حتى سنة ١٤ بعد الميلاد . وتضيف ذكرى بارثينيوس قوة إلى زمن تيبريوس الذى رغب فى محاكاة أشعاره .

وفيما عدا ميليا جروس الذى خلدته الأنثولوجيا اليونانية لا يذكر جميع

الآخرين إلا لارتباطهم بتاريخ روما ، فقد اتصل فيلوديموس وأرخياس بشيشرون وبارتينيوس بكورنيليوس جاللوس وفرجيل .

صغار كتاب النثر :

لم يتميز النثر اليونانى بأكثر مما تميز به الشعر ، أعنى إذا تركنا جانباً أولئك المؤلفين الذين كانو أساساً فلاسفة أو من رجال العلم ، مثل بانايتيوس أو هپارخوس أو پوليبيوس أو پوسيدونيوس أو استرابون وقد سبق أن أثنينا عليهم. ونظرتنا إلى من هم أقل مرتبة ممن يمكن إلحاقهم بهذه المدرسة الفلسفية أو بتلك ، فإنهم كانوا بالأحرى نحاة ومعلمى بلاغة . وسنقدم بإيجاز عدداً قليلا منهم . وهناك أولا رجلان يسمى كل منهما أپوللونيوس من بلدة ألاباندا[٤]. وكانا يعلمان الخطابة فى رودس ولقب أكبرهما بمالاكوس (الرقيق) ، ومن تلاميذه كونيتوس موكيوس سكافيولا الأوجور Augur (حوالى ١٢١) ماركس أنطونيوس الخطيب (٩٨) . أما الأصغر فقد حمل لقب مولون[٥] Molon وذاع صيته محامياً فى دور القضاء ، ورئيساً لإحدى مدارس الخطابة . وفى عام ٨١ ، عندما كان سللا دكتاتوراً ، جاء أپوللونيوس مولون إلى روما سفيراً من قبل الرودیين. واستمع إليه شيشرون فى ذاك الوقت ، وفى رودس بعد ذلك (حوالى ٧٨) . وكان قيصر أيضاً ممن استمعوا إليه . وقد وضع مولون خطباً ورسائل فى الخطابة وفى التاريخ فى الغالب . وقد ذاعت شهرة مدرسة رودس لأن منهاجها كان وسطاً بين سخاء الأسلوب الآسيوى وصرامة الأسلوب الأتيكى فى روما . واستلهم مولون رشاقة هيبريديس الفتية[٦] .

ولا بد لنا أن نذكر اثنين من أتباع أبيقور : أحدهما فايدروس (١٤٠ — ٧٠)[٧] ، رئيس المدرسة الأبيقورية فى روما ، وكان شيشرون من بين تلاميذه ، وثانيهما فيلوديموس ، الذى سبقت الإشارة إليه بين الشعراء . وزادت شهرة فيلوديموس الجدرى زيادة كبيرة عندما عثر على بعض كتبه فى ملفات بردية اكتشفت فى هيركولانيوم . وقد عاونه أحد كتب فايدروس على إلهام شيشرون وهو يكتب عن طبيعة الآلهة De natura deorum —

ويعد فيلون اللاريسى من بين مدرسى شيشرون وكان فيلون عضواً فى الأكاديمية . وعندما انحازت مدينة أثينا إلى جانب ميثريداتيس ضد روما ، حاصرها سللا واستولى عليها (٨٧ — ٨٦) . فى هذا الوقت أو قبله بقليل رحل فيلون إلى روما ، وفيها افتتح مدرسة لتعليم الفلسفة والريطوريقا (فن الخطابة) وقد ذكره شيشرون مراراً كثيره فى كتابه الأكاديميات (Academica) وكتابه عن طبيعة الآلهة .

وقد ذاعت شهرة ممثلين لمدرسة المشائين على نهج آخر ، وهما أبيليكون التيوسى وأندرونيكوس الرودسى . وكان ابيليكون ثرياً مغرماً بجمع الكتب استطاع أن يحصل على مكتبة أرسطو ، وعندما نهب سللا أثينا ، اشترى أو استولى على هذه الكنوز التى لا تقدر بثمن وحملها معه إلى روما . وقد رتب هذه المخطوطات تيرانيون وظهرت الطبعة الأولى تحت إشراف أندرونيكوس[٨] وقد توفى أبيليكون قبيل أن يستولى سللا على هذه المخطوطات بزمن قصير . أما أندرونيكوس فقد كان لا يزال على قيد الحياة فى عام ٥٨ ق.م .

وكان يمثل مدرسة الشك فى روما فى زمن شيشرون ، أينيسيديموس الذى جمع دراسات بيرون فى ثمانية كتب Byrvoneicoi logoi . وقد جاء اينيسيديموس من بلدة كنوسوس من أعمال جزيرة كريت . والظاهر أنه كان فيلسوفاً حظى ببعض الاستقلال فى الرأى حاول أن يمزج بين الشك وبين مبادئ الأكاديمية . وقد ضاعت كل مؤلفاته. ولكن سيكستوس أمبريركوس (النصف الثانى من القرن الثانى) كان مديناً بالكثير له .

وقد استقر أبوللودوروس البرجامى فى مدينة روما بعد ذلك بقليل . واختاره يوليوس قيصر ليكون معلماً (مدرساً للريطوريقا) لأوكتافيوس فى صباه . وكان أبوللودوروس أولا وقبل كل شىء معلماً لا كاتباً ، وقد أثر فى الرومان خاصة بشروحه لأجمل النثر الأتيكى . واضطلع بعمل مماثل كايكيليوس كالاكتينوس[٩] وديونيسيوس الهليكارناسى ، وهما من مدرسى الأسلوب الأتيكى فى عصر أغسطس .

وقد كان جميع أولئك معلمين للريطوريقا وفلاسفة ، كانوا بالضرورة فلاسفة . لأن كل معلم للريطوريقا كان يتسم بلون فلسفى وكان من أتباع مدرسة . محددة . وكانت كل مدرسة من المدارس الفلسفية الرئيسية ممثلة فى روما : الأكاديمية والليقيوم والرواق . ومذهب الشك كان من الممكن أيضاً سماع صوته وهو يرد كل مذهب آخر إلى الصواب . وكان هؤلاء الباحثون اليونانيون يعيشون جميعاً فى روما ، أو كانوا يتصلون بقيادة الرومان فى الخارج . وكان هؤلاء لا يلوذون بكنف أمراء من اليونان بل كانوا يستظلون بظل الرومان ، أمثال سكيبيو إيميليانوس وشيشرون وقيصر ومايكيناس وأغسطس . وأعظم ميزة لهم هو أنهم حملوا اللغة اليونانية والفكر اليونانى إلى الطبقة العليا من الرومان .

وبدلا من جعل عنوان هذا البند : الآداب اليونانية ، كان من الممكن أن يكون أكثر وضوحاً أن يحمل العنوان : « نمو الأدب اليونانى فى روما » .

الأدب اللاتينى :

عند ما يتذكر المرء أن أول سنة فى أول دورة أوليمپية تقابل ٧٧٦ ق.م وأن تأسيس روما أتى عام ٧٥٣ ق.م(وهذان التاريخان خرافيان لا يستندان إلا على مجرد الاتفاق ، ولكنهما قد يستعملان كتاريخين مقربين) ، فليس بمستطيع أن يغالب المدهش لتأخر ظهور الأدب اللاتينى ولا سيما إذا تذكرنا أن الأدب اليونانى بدا متوجاً بالنصر بهوميروس (فى القرن التاسع ، إن لم يكن قبل ذلك) . ومما يثير الدهش أكثر أن يقال إن كوينتوس انيوس (النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد) « باعث الشعر الرومانى » توفى فى سنة متأخرة عام ١٦٩ ق. م. ، سبعة قرون تقريباً بعد هوميروس . فهذه فجوة كبيرة حقًّا بين ثقافتين كان ينبغى أن تسيرا متوازيتين إلى حد ما . والحق أن الشعر اليونانى جاء أولا ولكن لم يكن لدى الرومان وقت للتفكير قبل دعم أسس مستقبلهم السياسى . ويشبهون إلى حد مارجال الأعمال الذين يظنون

أنه سيكون لهم وقت كاف للتعليم بعد اقتناء المليون الأول . وإذا ما حصلوا عليه أضحى الوقت متأخراً جداً .

ليفيوس أندرونيكوس ونايفيوس

ومع هذا لا محل للمبالغة بالقول كان انيوس أول شعراء الرومان العظام وكان يساوى فرجيل فى عظمته . ولكن كان هناك شعراء رومان طوال الجيل الذى سبقه . وأول اسم يستحق الذكر من بينهم رجل يونانى يسمى أندرونيكوس أسر فى تارنت سنة ٢٧٢ وأحضر إلى روما ، واختاره سيده ، ليفيوس ، ليكون مربياً لأبنائه . ثم أعتقه ومنحه اسمه كما جرت العادة. ومنذ ذاك دعى باسم ليفيوس أندرونيكوس . لم تذكره الأجيال التالية إلا بهذا الاسم اللاتينى وحده . افتتح مدرسته وعلق على الشعراء اليونانيين وقام بترجمة أوديسا هوميروس شعراً لاتينياً . كما ترجم قصصاً تراجيدية يونانية وروايات كوميدية يونانية واقتفى أثره بعد ذلك كثيرون .

وهناك شاعر آخر أقدم قليلا من أنيوس هو نايفيوس (حوالى ٢٧٠ — ٢٠١) وهو الذى أنشأ القصص الوطنية (Fabula praetexta) ، وهى طراز جديد من القصص التراجيدية يعالج موضوعات رومانية (طفولة روموليس وهزيمة الجال سنة ٢٢٢ والحرب البونية الأولى ، ٢٦٤ — ٢٤١) . كان رومانياً حقاً ولكنه تجرأ على انتقاد السلطات فألقى به فى السجن ومات فى المنفى حوالى ٢٠١ ببلدة أوتيكا . التى لا تبعد كثيراً عن قرطاجة . ومن المحال إصدار حكم على قصصه ؛ إذ لم يتبق منها إلا شذرات .

إنيوس :

أول شاعر عظيم كان بلاريب إنيوس (٢٣٩ — ١٦٩) وهو من أصل يونانى ، مثل ليفيوس أندرونيكوس . ولد فى بلدة روديای Rudiae من أعمال كالابريا Calabria سنة ٢٣٩ . استطاع بسرعة أن يتكلم اللاتينية كما كان يتكلم اليونانية . وأصبح قائداً لمائة centurion فى الجيش الرومانى .

وأحضره كاتو إلى روما (وقد كان يعلمه اليونانية) . وازدهر فى روما . وحظى بصداقة سكيبيو إيميليانوس وآخرين ، ومات فى سن السبعين . وترجم قصصاً يونانية لا سيما قصص يوربيديس ، إلى اللاتينية ، ونظم حوليات روما شعراً لاتينياً من زمن إينياس إلى عصره ؛ وهذا أول تاريخ لروما باللغة اللاتينية . وكتب قصيدتين فلسفيتين : إحداهما بعنوان إبيخارموس Epicharmos اختصر فيها نظريات فيثاغورس ، والأخرى بعنوان يوهيمروس Euhèmerus وهى تعليل منطقى للأقاصيص الدينية[١٠] كان الإنموذج الذى احتذاه لوكيوليوس ولوكريتيوس وڤرجيل .

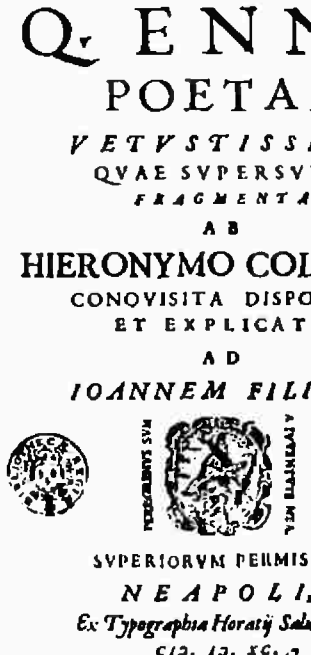
Q. ENNII
POETAE
VETVSTISSIMI
QVAE SVPERSVNT
FRAGMENTA
AB
HIERONYMO COLVMNA
CONOVISITA DISPOSITA
ET EXPLICATA
AD
IOANNEM FILIVM.
SVPERIORVM PERMISSV.
NEAPOLI,
Ex Typographia Horatij Salviani.
CIↃ. IↃ. XC.

شكل ٩٦ – إنيوس (النصف الأول من القرن الثانى ق . م .) . أول طبعة منفصلة من بقاياه وقف عليها جيرولامو كولونا (نابل ١٥٩٠) وكانت بقايا إنيوس قد طبعت قبل ذلك فى Fragmenta veterum poetarum latinorum التى جمعها روبرت وهنرى ايتين Etienne (چنيف : هنرى إستين ، ١٥٦٤) .

بلاوتوس وترنتيوس : تمهد مسرحيات إينوس لكاتبين معاصرين له وممتازين فى القصص الرومانى ، وأعنى بهما بلاوتوس وترنتيوس . ولد بلاوتوس فى سارسينا من أعمال أومبريا حوالى ٢٥١ ، وتوفى سنة ١٨٤ . ألف كوميديات ، اقتبسها من « الكوميديا الحديثة » اليونانية ، ولا سيما من مسرحيات مينائدر . ونقل

هذه المسرحيات ، وإن تصرف كثيراً فى معالجتها بأسلوب فكه أصيل . وقد عرف كيف يقتبس قصة يونانية قديمة، ويوثق بينها وبين حاجات النظارة من الرومان ، وأحرز شهرة واسعة .

ترنتيوس (حوالى ١٩٥ — ١٥٩) :

ولد بعد بلاوتوس بنصف قرن تقريباً وكان أكثر تكلفاً وأقل إمتاعاً ؛ إذ تنقصه — على حد تعبير قيصر — القوة الكوميدية Viscomica . نقل أغلب مسرحياته من الكوميديا الحديثة ولا سيما من ميناندر كما صنع بلاوتوس. ولكن بجرأة أعظم . فمن ناحيته لم يرد أن ينقل مسرحية واحدة ، بل استمد إلهامه فى كل مسرحية من عدة مسرحيات يونانية . لم يكن ترنتيوس إيطالى المولد ، مثل بلاوتوس ، وإنما ولد فى قرطاجة[١١] من أصل ليبى ، ثم نقل عبداً إلى روما . . وأحسن سيده تربيته ، وعندما تبين نبوغه ، منحه كل تشجيع ممكن . وإذا كان أقل من بلاوتوس شجاعة ، فإنه يفوقه فى التحضر . كان ترنتيوس رقيقاً إنسانيًّا . ولنذكر جميعاً على الأقل هذا البيت من شعره : إنى إنسان ، ولا أظن أن شيئاً ما يخص بنى الإنسان غريب عنى .

لم تكن كوميدياته شعبية ولكنها صادفت نجاحاً لدى المربين والمثقفين[١٢] وقد بعثت روحه الهادئة فى المسرحيات الإنجليزية التى وضعها وليم كونجريف (١٦٧٠ — ١٧٢٩) ، والمسرحيات الإيطالية التى ألفها كارلو جولدونى (١٧٠٧ — ١٧٩٣) .

كاتو الرقيب : قدمنا فى الفصل الرابع والعشرين عرضاً مستفيضاً لمذكرات كاتو التى وضعها عن الزراعة ، حوالى ١٦٠ . وهى فى الواقع ليست من الأدب وإن كانت لا تهمل . وكان رومانيًّا خالصاً ، يكره الإسراف والفساد الذى تأصل فى الطبقات العليا . وكأنه كان يزداد بزيادة الثقافة والتحضر ، وأعلى ثقافة ما استقيت من المصادر اليونانية . وظن كاتو أن أفضل دواء هو تمجيد الحياة الريفية والفضائل السهلة التى ترتبط بها . وليس معنى هذا أنه

لم يكن مثقفاً ، بل بالعكس نال قسطاً وافراً من التعليم فى شبابه ، وكان فى استطاعته أن يقرأ اليونانية ، ودرس كغيره ثوكيديديس وديموستنيس ، وكان معجباً باليونانيين فى عصرهم الذهبى ، دون أن يطمئن إلى معاصريه منهم . ولعله لم يكن مخطئاً فى ذلك . أدرك الجانب الحسن من الثقافة اليونانية . كما أحاط بجانبها السيئ ، وعندما زار كارتيادیس البرقاوى فى روما (١٥٦ — ١٥٥) سفيراً مبعوثاً من أثينا للدفاع عن مصالحها ، رغب كاتو فى أن يرحل عن المدينة بأسرع ما يكون « ليحيق بنا الدمار إن أعطانا اليونانيون آدابهم ، وبخاصة إن أرسلوا إلينا أطباءهم » . كان كاتو يحب الحياة البسيطة ، ويزدرى ترف الطبقة الارستقراطية المتزايدة . وزعم أن التماثيل التى أحضرت من سيراكوز سنة ٢١١ أفسدت الأخلاق الرومانية .

كانت خطبه العامة تعد بعناية، وكتب تاريخ روما . وهو أول كتاب من نوعه فى النثر اللاتينى . ومن سوء الحظ أن كتابه عن الزراعة (De agricultura) هو التراث الأساسى الذى خلفه ، وهو من الناحية الأدبية ركيك إلى أقصى درجة . يعد كاتو مؤسس النثر اللاتينى بمؤلفاته الأخرى . فقد أحاط بما يريد أن يقول . ثم قاله بقوة ووضوح، وفى بعض الحالات الخاصة اقترب من القمة . ولعدم عنايته بالعلوم وسوء فهمه لها لم يستطع أن يقدر أفضل أجزاء الثقافة اليونانية وأبقاها . . وكانت العلوم فى نظره تافهة، فيما عدا الزراعة وتدبير المنزل والفقه . أو بمعنى آخر ، لم يكن يستطيع أن يهدى العلم فى أوجه، وإنما رآه فى صورته البدائية .

زادت شهرته الشعبية فى العصور الحديثة بشكل غير طبيعى للخلط بينه وبين رجلين آخرين ، فخلط أولا بينه وبين حفيده كاتو الأوتيكى (Cato of Utica) (٩٥ — ٤٦) الذى انتحر فى أوتيكا ، بعد أن هزمه قيصر مفضلا الموت على الخضوع لقيصر. فكاتو الأوتيكى من أعظم أبطال الجمهورية الرومانية، وإذا ذكر اسم كاتو انصرف ذهن كثير من الناس إليه . وثانياً ظن الناس أنه واضع المقطوعات الأخلاقية Moral distichs التى كانت

منتشرة فى مدارس العصور الوسطى انتشار إيسوب وأفيانوس رومولوس[١٣] وعندما لاحظ تشوسر (فى قصة الطحان) «كان يعلم أن ليس ثمة كاتو لذكائه القاسى . وكاتو هذا هو مؤلف المقطوعات الأخلاقية . وقد بدأ الخطأ فى زمن متقدم جداً[١٤] . واستمر حتى القرن التاسع عشر على الأقل. فالقطعة التى تحمل عنوان : عن الأخلاق إلى ابنه Demoribus ad filium أو مقطوعة من الأخلاق dizticha de moribus أو أقوال كاتو السائرة Dicta Catonis ، لاقت قبولا عاماً وضخماً فى اللغة اللاتينية وفى كثير من اللهجات فى نظر أكثر الناس ، إن لم يكن فى نظرهم جميعاً ، غير كاتو الأكبر المؤلف . وقد شيد مجده على أساس هذه المقطوعات . ومن المحتمل أنها كانت أول (وآخر) كتاب باللغة اللاتينية درسه فرانكلين ؛ فقام هو نفسه بإخراج طبعة منه باللغة الإنجليزية[١٥] فكاتو الزائف هذا كان أحد معلمى (رتشارد المسكين) .

لقد قمنا الآن باستعراض أول قرن من تاريخ الأدب اللاتينى (٢٥٠ — ١٥٠) . إنه لم يخلق هوميروس أو هزيود ، وإنما خرج ستة من الكتاب الجديرين بالثناء : ليڤيوس أندرونيكوس . ونايفيوس . وأنڤيوس . وبلاتوس ، وترنتيوس وكاتو الرقيب . وليست هذه بداية سيئة . وإن جاءت متأخرة .

سكيبيو أيميليانوس وجايوس لوكيليوس . من أهم خصائص الأدب اللاتينى أنه يقال له تقاليدى أفضله ما ترجم عن اليونانية . ومن بين الستة السابقين ثلاثة من أصل يونانى أو حظوا بتعلم الآداب اليونانية فى صباهم . فلم يكن فى استطاعة ليڤيوس أندرونيكوس أو إينيوس أو ترنتيوس أو حتى كاتو ، الذى صب اللعنة على الخطر اليونانى . ألا يستعملوا ألفاظاً يونانية .

وجاءت بعد القرن الأول الذى شهد نشأة الأدب والنثر اللاتينى فترة كمود ، يمكن أن يطلق عليها عصر إيميليانوس سكيبيو (١٨٥ — ١٢٩) وندوته .

عندما بذرت أصول العصر الذهبي. كان فترة اصطباغ عميق بالحضارة الهلنستية فكان من بين أصدقاء سكيبيو مؤلفون يونانيون مثل بانايتيوس ويوليبيوس ، ورفاق أيضاً مثل ترنتيوس ولوكيليوس . وفي أثناء رياسة سكيبيو نقلت مكتبة الملك بيرسيوس[١٦] إلى روما[١٦٨]. وقد دفع هذا الحادث إلى زيادة الاهتمام بالأدب اليوناني .

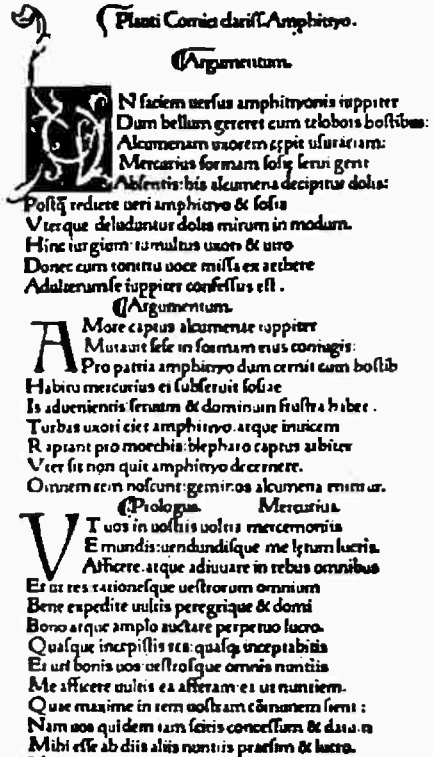
Plauti Comici clarifi Amphitryo.

Argumentum.

IN faciem uersus amphitryonis iuppiter
Dum bellum gereret cum telobois hostibus:
Alcumenam uxorem eppit usurariam:
Mercurius formam fosig ferri gerit
Absentis: bis alcumena decipitur dolis:
Postq reduxit ueri amphitryo & fosia
Uterque deluduntur dolis mirum in modum.
Hinc iurgium: tumultus uxori & uiro
Donec eum tonitru uoce missa ex aethere
Adulterumse iuppiter confessus est.

Argumentum.

AMore captus alcumenae iuppiter
Mutauit sese in formam eius coniugis:
Pro patria amphitryo dum cernit cum hostib
Habitu mercurius ei subseruit fosiae
Is aduenientis seruum & dominum frustra habet.
Turbas uxori ciet amphitryo: atque inuicem
Raptant pro moechis: blepharo captus arbiter
Uter sit non quit amphitryo decernere.
Omnem rem nosc̃unt: geminos alcumena enititur.

Prologus. Mercurius.

VT uos in uostris uoltus mercemonijs
E mundis: undundisque me lętum lucris.
Afficere: atque adiuuare in rebus omnibus
Et ut res rationesque uestrorum omnium
Bene expedite ultris peregrique & domi
Bono atque amplo auctare perpetuo lucro.
Quasque incepistis res: quasq; inceptabitis
Et ut bonis uos uestrosque omnes nuntiis
Me afficere multis ea afferam: et ut nuntiem.
Quae maxime in rem uostram cõmunem sient:
Nam uos quidem tam scitis concessum & datum
Mihi esse ab diis aliis nuntiis praesim & lucro.
Haec ut me multis approbare adsitis.
Lucrum ut perenne uobis semper superet:
Ita huic facietis fabulae silentium.
Itaq; aequi & iusti hic eritis omnes arbitri

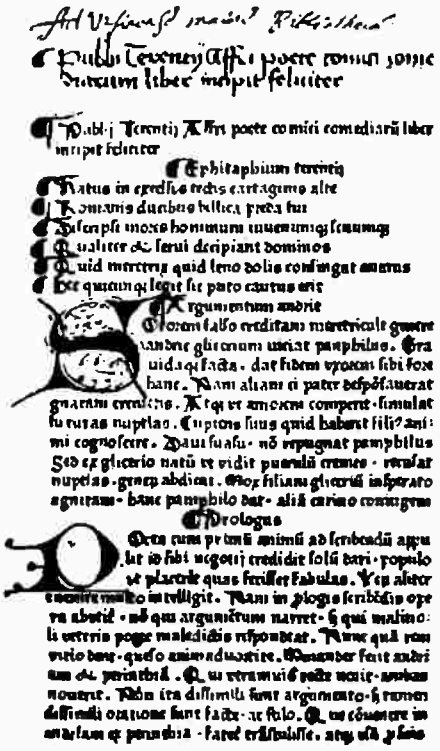
Publi Terentij Afri poete comici comediarũ liber incipit feliciter

Publij Terentij Afri poete comici comediarũ liber incipit feliciter

Epitaphium terentij

NAtus in egredijs rebus extinguor alte
Romanis duribus bellica preda fui
Delerunt mores hominum monumenta sepulcra
Qualiter & serui decipiant dominos
Quid meretrix quid leno dolus confingat amantes
Hec quicunq; legit sit paro cautus erit

Argumentum andrie

Glycerium falso creditam meretricule gnatam
Audrie glicerium uicinat pamphilus. Era
uid aq; facta. dat fidem uxorem sibi fore
hanc. Nam aliam ei pater despõsauerat
gnatam crito. Atq; ut amorem comperit: simulat
se uxorem ducere. Captos sinus quid habent fili? animi
cognoscere. Dum simulat. nõ repugnat pamphilus
Sed ex glycerio natũ se uidit puerili crines: ornatu
nuptiae: gnatq; abdicat. Hinc filiam glycerii inspetato
agnoscunt: hanc pamphilo dat: alia carino coniugem

Prologus

QVom cum primũ animũ ad scribendũ appu
lit: id sibi negotij credidit solũ dari: populo
ut placerẽt quas fecisset fabulas. Nec aliter
euenire multo intelligit. Nam in prologis scribẽdis ope
ra abstrit: nẽ qui argumentum narret: & qui malimo
li ueteris poetae maledictis respondeat. Nunc qui ron
uolo hos: quae sit animi aduorsio. Menander fecit andri
am & hecyram. Q. ui eam uidẽt scisse: nouam
nouerunt. Nam ita dissimili sunt argumento: & rumo
dissimili orationes sunt factae: ut fabu. Q. ui cõuenire in
unam eam posse dicat: aut non malle

شكل ٩٧ – بلاوتوس (حوالى ٢٥٤ – ١٨٤) . الطبعة الأولى لمسرحياته التى نشرها جورجيوس ميرولا ويدعى أيضاً جورجيو ميرلانى

شكل ٩٨ – ترنتيوس (حوالى ١٩٠ – ١٥٩) . الطبعة الأولى لمسرحياته (فوليو ، شتراسبورج ، يوهان مننلين قبل سنة ١٤٧٠) (بإذن من مكتبة هنتنجتون ، سان مارينو ، كاليفورنيا) .

ولد جايوس لوكيليوس (حوالى ١٨٠ — ١٠٢) ، فى سويسا أورونكا Suessa Aurunca[١٧] من أعمال لاتيوم . وجاء إلى روما بعد سنة ١٦٠ . وكان شاعراً على جانب كبير من الثراء . ترك ما يقرب من ثلاثين كتاباً بقى لنا منها ألف وثلثمائة بيت . كان إلى حد ما هاوياً . وقد نظم هجائيات (مختلطات) لموضوعات كثيرة فى أيامه . وكان فى بعض الأحيان يهدف إلى السخرية ولكن بروح هادئة . وعلى ذلك كان رائداً سبق هوراس وبيرسيوس (٣٤ — ٦٢) وجوفينال (ازدهر ١٠٠ — ١٣٠) . وفى أواخر حياته اعتزل فى نابلى وفيها وافته منيته حوالى سنة ١٠٢ .

والقرن الأول قبل الميلاد ، كان حقًّا العصر الذهبى للآداب اللاتينية وكان رجال الأدب العظماء أكثر من مجرد رجال أدب ، وقد سبق أن قدمناهم للقراء أمثال لوكريتيوس ويوليوس قيصر وشيشرون وڤارو وڤرجيل ، ولنعود إليهم هنا ، بقدر ما تقضى الحاجة لإتمام الصورة التى نقوم برسمها .

كاتوللوس . لا حاجة بنا إلى إضافات جديدة عن لوكريتيوس ؛ لأن كتابه الوحيد ، عن طبيعة الأشياء ، سبقت مناقشته مناقشة تامة فى الفصل السابع عشر . ومعاصره كاتوللوس نقيض عظيم له . كانا قرينين تماماً ، فقد توفى لوكريتيوس سنة ٥٥ وعمره أربع وأربعون سنة ، أما كاتاللوس فقد توفى سنة ٤٤ وله من العمر ثلاثون سنة . وقد استمد لوكريتيوس إلهامه من النماذج اليونانية ، ولا سيما أبيقور ، أما كاتوللوس فقد حذا حذو النماذج الهلنستية . أى الأدب اليونانى الشرقى الذى انتشر فى مصر وفى البلاد الآسيوية بعد سقوط الإسكندرية. وقد استخدم نايفيوس وإينوس الأدب اليونانى لمصلحة وطنه وتعليم ابنه ، أما كاتللوس فلم يفكر فى هذا المثل الأعلى . لقد كان يهتم بالشعر الإسكندرى أو شعره هو . لا لشىء إلا الرشاقة الأدبية . وكان جل همه يدور حول نفسه ، وأهم الحوادث فى تاريخ حياته وفاة أخيه المفاجئة سنة ٥٩ ، وخيانة خليلته ، ليسبيا بعد ذلك بسنوات قلائل . وقد دبج عدداً كبيراً من القصائد . غنائية ورثائية ، وهجائية ؛ وقد وصلنا منها مائة وثلاث عشرة ؛ وزخرف صناعته

يخفف من وطأته إخلاص نسبي ولمحات قليلة من شعور عميق .

ولد جايوس فاليريوس كاتوللوس (حوالى ٨٤ — ٥٤) فى فيرونا ، فهو إذن إيطالى من أهل الشمال ، بعد نهر البو ، كصديقه كورنيليوس نيبوس ، ومثل فرجيل وتيتوس ليفيوس وپلينى الأكبر وپلينى الأصغر . وقد أحب كاتوللوس وطنه الأصلى ، ولا سيما بحيرة جاروا Lacus Benacus . وقد جاء إلى روما حوالى سنة ٦٢ ، وقضى بقية حياته فيها ما عدا رحلات قصيرة قام بها .

وقد توافر له من المال ما يسر حاجته ، فجاء فنه «فنًّا للفن» L'Art pour L'Art دون تقيد بأى أفكار سياسية أو اجتماعية من أى نوع . وهو فى هذا يشبه كثيراً شعراء الإسكندرية الذين حذا حذوهم ، وقاسمهم فى تكلفهم وكتب مثلهم للسعداء القليلين ، وهذا مزعج لأن السعداء القلائل لم يكونوا بالضرورة أفضل الناس ، بل كانوا فى بعض الأحيان حقراء جدًّا ، وكان أفضل من المثل السكندرية التى حاكاها ، لأنه كان أبسط وأقل إبهاماً وتلميحاً . وجمهوره الرومانى على العموم أكثر رجولة وأقل سفسطة من الجمهور السكندرى أو الأسيوى ، ولم يكن كاتوللوس هو الشاعر الوحيد الذى سار وراء هذا الطراز فى روما فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد بل كان هناك آخرون كثيرون نظروا إلى أنفسهم على أنهم الكتاب الجدد ، أو دعنا نقل العصبة الجديدة neoteroi ، وقد وصلت إلينا أمثلة كثيرة من الأدب السكندرى فى روما أسوأ بكثير مما ترك لنا كاتوللوس ، مثال ذلك القصائد التى كانت تنسب سابقاً إلى شباب فرجيل ، والأرجح أنها ليست له[١٨] .

كان من الضرورى التحدث عن كاتوللوس لأنه كان (قبل أوڤيد) أحسن ممثل للأدب السكندرى فى روما ، وهو طور خطير من أطوار الثقافة الرومانية برر مخاوف كاتو واحتقاره ، وإن كان ينبغى أن يحسب حسابه . على أن كاتو من جهة أخرى كان جديراً بالذكر لما خلف من أثر ، فكل شاعر رومانى جاء بعده ، حتى أعاظم الشعراء مثل فرجيل وهوراس ، كان مدينًا له بعض الدين وبصرف النظر عن تجديداته العريضة أدخل كاتوللوس فى الشعر اللاتينى

عنصراً جديداً، مزيجاً من الرثاء والتصنع لا يمكن أن يمحى بعد ذلك ، بل لقد انتشر لا فى اللاتينية فحسب ولكن فى اللغة الإيطالية التى كتب بها بترارك ، واللغة الفرنسية التى استعملها رونسار .

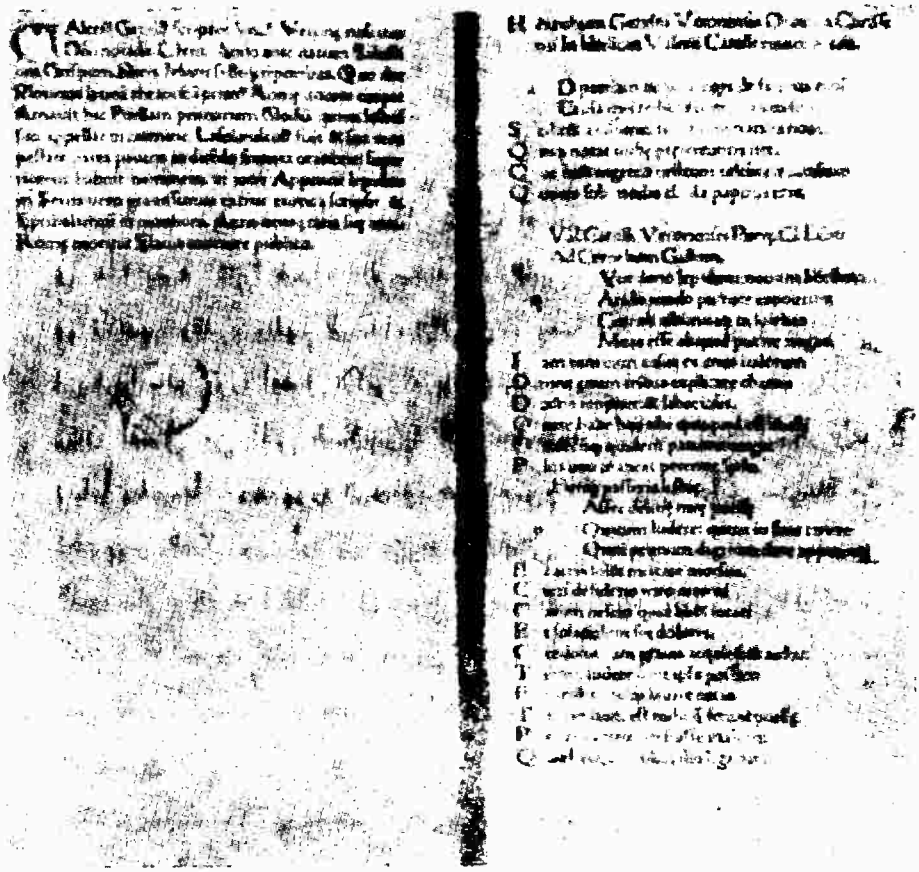

شكل ٩٩ – الطبعة الأول لكاتوللس وتيبوللوس وبروبيرتيوس وستاتيوس Carmina Catulli quibus accessere = Tibulli et Propertii carmina et Vindelinus de Spira

(البندقية Statii Sylvae ١١٧٢) . وقد ازدهر كاتوللوس – وتيبوللوس وبروبيرتيوس فى القرن الأول قبل الميلاد . ولكن ستاتيوس (٤٥ – ٩٦) عاش فى القرن التالى ولهذا لن نتعرض له فى هذا المجلد .

شيشرون : ولنعرض الآن لرجلين من أعظم الرجال : يوليوس قيصر

(١٠٢ — ٤٤) ، وشيشرون (١٠٦ — ٤٣)، تعاصروا وعُمِّروا بقدر واحد تقريباً وسيطرا على الأدب اللاتينى فى نواح مختلفة كان يوليوس قيصر أولا وقبل كل شى رجل سياسة وحرب وحتى لو لم يصل إلينا شيء من مؤلفاته لوصل مجده إلى عنان السماء . أما شيشرون فبالعكس أقحم نفسه فى السياسة وإن كان أولا وقبل كل شيء ، كاتباً ابتدع أحسن نثر فى اللغة اللاتينية . ومن حسن حظه أن وصل إلينا كثير مؤلفاته ، ولولاها لكان من المشكوك فيه أن يبقى اسمه .

تحدثنا عن مؤلفات شيشرون الفلسفية فى الفصل السابع عشر ، وهو بعد لوكريتيوس ، أهم من نقل الفلسفة اليونانية إلى جمهور الرومان ، إلا أن تلك المؤلفات لم تلك إلا جزءًا يسيراً من نشاطه الأدبى ، ونستطيع أن نغض عن جهوده السياسية وإن كان قد وضع أكثر من مائة خطبة وصلنا منها ثمان وخمسون. وكتب رسائل فى الريطوريقا والنظريات السياسية والقانون. وأهم شيء فى تراثه الأدبى رسائله التى تتألف من ألف خطاب تقريباً بعث بها إلى مئات من الناس من كل طبقة ومن كل نوع . وتكاد هذه الرسائل تكون فريدة فى الأدب الكلاسيكى ، فهى أقدم ما وصل إلينا وأكثره عدداً[١٩] وصل إلينا تسعمائة وواحد وثلاثون خطاباً ، تسعة أعشارها خطها بنفسه ،أما الباقى فموجه إليه . والظاهر أنه أعد بعضها للنشر ، وأنها نشرت فعلا بعد مقتله بزمن قصير (فى الفترة ٤٣ — ٣١ تقريباً) بأمر من أوكتافيان ، أو على الأقل بعد استئذانه . وقد أشرف على نشرها اثنان من أصدقائه المخلصين ، أتيكوس وتيرو[٢٠] . وهى تحتوى كثيراً من الأسرار الدينية وهى أفضل مصدر لسيرة شيشرون ، وتلقى ضوءاً على بعض أبطال المهزلة الإنسانية فى تلك الأيام : بومبي ويوليوس قيصر وبروتوس وأتيكوس وأنطونيوس وأوكتافيان . فهى مرآة للمجتمع الرومانى بين سنتى ٦٨ و ٤٣ . وليس ثمة فترة فى التاريخ القديم ألقى عليها مثل هذا الضوء ، لأن تلك الرسائل تطلعنا عل ما يحدث وراء الستار . وطال نقاش الباحثين حول صدق شيشرون[٢١] فقد لا يستقيم الزعم بأنه قال دائماً ما يعتقده أو أنه لم يخف قط بعض آرائه ،ولكنى أميل إلى

تصديقه منى إلى تكذيبه . وعلى كل حال ترينا هذه الرسائل الغنية رجلا أشبه ما يكون برجال السياسة من حكام أعضاء مجلس الشيوخ والمحامين الذين عرفناهم فى ضوء كتاباته الأخرى وآراء معاصريه . وقد كان ذكيًّا جدًّا ومن الأحرار (يسار الوسط) . لا حزبيًّا متعصباً ، ولما كان فى المعمعة استطاع أن يلم بكل شيء . ولقد عرف أهواء الناس وإن لم يشارك فيها ، كان رواقيًّا فى أخلاقه أكثر منه رجل سياسة . ونحن نعرف أنه كان مملوءاً بالغرور وأن هذا الغرور تلألأ مراراً وتكراراً فى رسائله . ولما كان ذكاؤه مشوباً بكرم نفسى ، فقد كانت انفعالاته سريعة التغير وكذلك قراراته ، هل كان هذا عدم إخلاص لنفسه ؟ كان محبًّا للفنون والأدب ، وكان إنساناً حقاً ، ولكنه لم يكن إنساناً متكاملا وذلك لجهله بالعلوم .

ولسوء الحظ لا يعرف كثير من الطلبة شيشرون إلا عن طريق خطبه . وهى تعتبر أفضل نماذج فى بابها . ولكن لا يمكن فهمها إلا بمعرفة جيدة للحوادث التى أدت إليها . ومعلمو اللغة اللاتينية (لا أقول طلبتها) قلما يؤهلون تأهيلا كافيا لإعادة الحياة إلى تلك الخطب . وربما كانت الفيليبيات[٢٢] التى ألقاها شيشرون فى السنتين الأخيرتين من حياته ضد ماركس أنطونيوس أحسن خطبه السياسية . استعمل الدكتاتورون * السلم طعماً لاقتناص الشعب واستعباده ، ولكن كان لشيشرون من الشجاعة ما يمكنه من أن يحتج : « لماذا لا أريد السلم ؟ لأنه شنار وخطر ومحال ... إنى لا أرفض السلم ، ولكنى أخشى الحرب تحت ستار السلام[٢٣] » وهو يتساءل المرة بعد المرة : « هل العبودية سلم ؟ » . وقد ثأر ماركس أنطونيوس لنفسه ، فأرسل إليه من قتله فى فورمياى فى السابع من شهر ديسمبر سنة ٤٣[٢٤] .

توجد على الأقل ثلاثة أنواع مختلفة من الأساليب فى مؤلفات شيشرون : أولها الأسلوب الواضح والبسيط نسبيًّا الذى نراه فى كتبه ، وثانيهما ذاك الأسلوب المتشابك المملوء بالانفعال فى الخطب السياسية وفى مرافعاته ، وإنه

---

* جمع دكتاتور .

لغريب أن يظن المرء أن مثل هذه الجمل الطويلة التى تبعث اليأس فى قلوب الطلبة كانت ضرورية لإقناع أعضاء مجلس الشيوخ والقضاة والمحلفين وهى لا تؤثر فى أحد الآن فى الولايات المتحدة على الأقل ، وأثرها بالأحرى ضد الخطيب نفسه ، وهناك أسلوب ثالث هو أسلوب الرسائل وهو أفضلها وأبسطها ، ولا سيما فى تلك الرسائل التى كان ينبغى أن تكتب بسرعة . وهذا الأسلوب يرينا الرجل وجميع نقائصه ، بل يطلعنا أيضاً على إنسانيته وفضائله الأخرى ، فهو رشيق غير متكلف ومليء بالصور . ويستطيع المرء أن يتخيل حماسة العلماء عندما اكتشفت تلك الرسائل فى القرن الرابع عشر ، وكانت من قبل مفقودة ، وظهر عددلاحصر له من طبعاتها منذ سنة ١٤٦٧ (٢٥)

شكل ١٠٠ — شيشرون (النصف الأول من القرن الأول) Epistolae ad Atticum Brutum Quintum fratrem cum Attici فوليو ، ٣٠ سم ١٨٢ ورقة ، البندقية : نيكولاس جينسون ، ١٤٧٠) .

وهذه الرسائل اكتشفها بتراك (النصف الأول من القرن الرابع عشر) فى فيرونا سنة ١٣٤٥ وقام بنسخها Coluccio Salutati (النصف الثانى من القرن الرابع عشر) . وهذه أول (أو ثانى) طبعة للرسائل. وقد بعث شيشرون بهذه الرسائل إلى أتيكوس وإلى بروتوس قاتل الدكتاتور وإلى أخيه كونيتوس . ونشرها نيكولاس جينسون الفرنسى فى سنته الأولى بالبندقية . ونحن ننشر هنا آخر صفحة . ونشرت طبعة أخرى من الرسائل نفسها فى نفس السنة ١٤٧٠ قبل ٣٠ أغسطس . ثم طبعها فى روما Sweynheym و Pannartz . فهل سبقت طبعة جينسون وتاريخها هو بكل بساطة M. CCCCIXX = ١٤٧٠ ؟

iustitia & cum eo. L. Cornelium Balbum Serrumq; poducrum. Hos ut uenisse uidit in cubiculum inuitat: quam ob rem inquit cura diligentiaq; in salitudine mea tuenda hoc tempore adhibuerim: cum uos tecum habeam nihil opus est pluribus uerbis commemorare: quibus quoniam ut spero satisfeci me nihil reliqui fecisse quod ad seruandū me pertinerit: reliquū est ut egomet mihi consulam: id uos ignorare nolui. Nam mihi stat alere morbū desinere. Nā q; his diebus q; quid cibi sūpsi ita produxi ut tantū ut auxerim dolores sine spe salutis. Quare a uobis pero primū ut cōtinuum, pberis mei: deide ne frustra dehortando conemini. hac oratione habita tanta constantia uocis atq; uultus: ut non ex uita: sed ex domo in domū uiderer migrare. Cum quidē Agrippa cum fletu atq; ploratu oraret atq; obsecraret: ne ad id quod natura cogeret: ipse quoq; sibi adferret: Et quoniam tum quoque posse & temporibus superesse se sibi fassus referuaret preces eius tacitumitas sua obstinatione deprecatus. Sic cum biduū cibo se abstinuisset subito febris decessit: leuiorq; morbus esse coepit. Tamen propositum nihilo secius peregit. Itaq; die quinto postq; id cōsilium inierat prudie kalēdas apriles Cn. Domitio. C. Sosio cōsulibus decessit. Elatus est ut lectulus ut ipse praecepserat sine ulla pōpa funeris comitantibus omnibus bonis maxima uulgi frequentia. Sepultus est iuxta uiam Appiam ad quintum lapidem in monumento Quinti Ceciliu auunculi sui.

.FINIS.

A rtice nunc nouas urnera diffundens urbes
Cum quondam tuerit copia rara tui.
Gallicus hoc Ienson Nicolaus muneris orbi
A mulis ingenio dedalis atq; manu.
Christophorus Mauro plenus bonitate fideq;
Dux erat: audorem lector opusq; amas.

MARCI. T. C. EPISTOLAE AD ATTICVM BRVTVM: Et Quintum Fratrem cum ipsius Attici uita feliciter Explicunt.

.M.CCCC.LXX.

أتم شيشرون خلق اللغة اللاتينية . وقد ساد الظن زمناً أنه من المحال إدخال تحسين على أسلوب شيشرون ، أو إضافة ألفاظ جيدة إلى ثبت مفرداته .

وقد أتى مثل هذا الادعاء المفرط برد فعل أحسن ما يوضحه كتاب (Erasmus) المسمى Cicernoanus (Basel Fraoben, 1528) . فمن الواضح أنه ما من كاتب ، مهما علت مكانته ، يستطيع يوماً أن يوقف تقدم لغة . لأنه إن فعل ، لم يوقف نموها فحسب ، بل يقضى على حياتها .

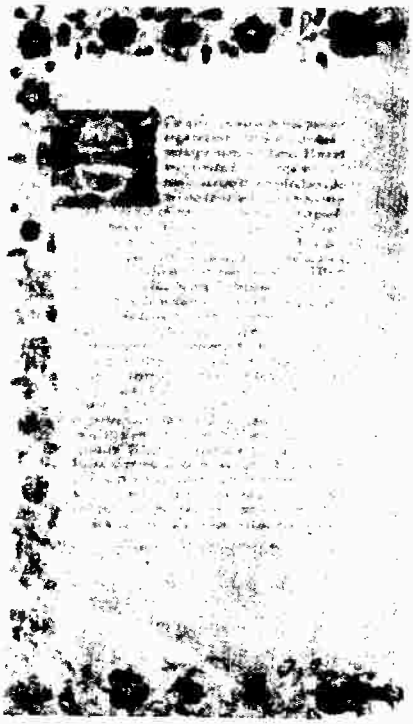

شكل ١٠١ – شيشرون (النصف الأول من القرن الأول ق. م.) رسائل إلى أصدقائه Ad familiares (روما · Sweynheym و Pannartz ١٤٦٧) (باذن من مكتبة جون ريلاند ، مانشستر) . وعندما علم Coluccio Salutati (النصف الثانى من القرن الرابع عشر) فى سنة ١٣٨٩ أن مخطوط ڤيرونا ومخطوط (Vercelli) اللذين يحتويان على رسائل شيشرون كانا فى ميلان ، طلب نسخ مخطوط Vercelli واكتشف أنه يحتوى على رسائل شيشرون إلى أصدقائه . وفى سنة ١٣٩٢ تسلم نسخة من مخطوط ڤيرونا (الذى اكتشفه بترارك. ومخطوط Vercelli الأصلى والنسختان اللتان عملتا لسالوتاتى موجودتان الآن فى المكتبة اللورانتية فى فلورنسة . وكان سالوتاتى أول رجل فى العصر الحديث عرف ضخامة رسائل شيشرون .

قيصر :

لم يحترف قيصر الكتابة كما فعل شيشرون، ولكنه لم يجد صعوبة فى التأليف ، لأنه تلقى تعليماً جيداً جداً . وكان يجيد حقاً لغتين[٢٦] . كان رقيق الشعور ، ميالا إلى الأسلوب الأتيكى ، ومحباً للأدب .

كان أسلوبه سهلا لا التواء فيه، ولما كانت مؤلفاته تروى أعماله الحربية . فهى تحكى قصة حياته . كان أولا وقبل كل شىء رجل عمل وقائداً يجب عليه

أن يقتنص الفرص العابرة ، وأن يفيد منها أعظم فائدة ، وقد أسبغ هذا على أسلوبه سلاسة وقوة . وهذا هو السبب فى أننا نلحظ صفات مشابهة فى كتابات رجال آخرين من الطراز نفسه ، مثل فردريك الأكبر ونابليون .

فلم يكن قيصر واحداً من كبار كتاب روما فى عصره فحسب ، بل كان فريداً فى الأدب اللاتينى ، وقد خلفت تعليقاته Commentaries نوعاً جديداً من الأدب .

م. ت. فارو :

تحدثنا عن حياة ماركوس ترنتيوس ڤارّو عندما تكلمنا عن رسالته فى « الزراعة » ، ولكنه يحتل مكاناً رفيعاً فى الأدب بما وضع من مؤلفات أخرى مفقودة . ولد ڤارو قبل مولد لوكريتيوس وقيصر وشيشرون ، وعاش ما يقرب من تسعين عاماً فعاصرهم وعمّر بعدهم سنين طويلة ، ولذلك يتراءى للمرء أنه ينتسب إلى جيل متأخر . وقد عاش حتى أدرك أوائل عصر أغسطس ، ففى السادس عشر من شهر يناير سنة ٢٧ ق.م . منح مجلس الشيوخ أوكتافيانوس لقب « أغسطس » ، وفى هذه السنة مات فارّو .

لم يكن من أساطين الأدب كما كان شيشرون ، ولا حتى قيصر ، ولكنه كان يلم بعلوم متنوعة وخصباً لدرجة لا تصدق . وقد روى أولوس جيليوس[٢٧] (النصف الثانى من القرن الثانى) فى شىء من المبالغة فى الغالب أن ڤارّو عندما بدأ السنة الرابعة والثمانين من عمره كان قد وضع ٤٩٠ كتاباً[٢٨] ، وأنه استمر يكتب أو يملى ما يقرب من ست سنوات أخر ، ومهما تكن نتيجة هذه الجهود ، فلم يهرب من ظلام النسيان غير سبعة فقط من مؤلفاته . ولم يصل إلينا غير اثنين من هذه المؤلفات السبعة : أحدها رسالته الزراعية التى نوقشت فى الفصل الواحد والعشرين ، وثانيها بقية من كتابه عن اللغة اللاتينية سنناقشه فى الفصل التالى .

أما الكتب الخمسة الأخرى فسنعرض لها الآن بحسب ترتيبها الزمنى فتتضح أهميتها إن نوقشت فى ضوء القرن الثانى فى العالم اليونانى الرومانى .

١ — (الهجائيات الميبية) Satrarum Menippearum libricl . هذه ليست هجائيات بالمعنى المتعارف لهذه الكلمة، ولكنها مقالات نثرية مزجت بالشعر ، على نحو النموذج الذى تركه الفيلسوف الكلبى ،مينيبوس[٢٩] . وهى مقالات فكاهية أكثر منها هجائية مريرة ، على الرغم من أن أحد أهدافها على ما يظهر ، كان التشهير بالترف وغيره من النقائص الاجتماعية . وقد كتبت بين عامى ٨١ و٦٧ .

٢ — (الآثار الإنسانية والمقدسة)

Antiquitatum rerum humanarum et divinarum libri XLI.

كان هذا تأريخاً للآثار غير الدينية (٢٥ كتاباً) والآثار المقدسة (١٦ كتاباً) . وقد وضع فى سنة ٤٧ . وبحث فى الفصل الرابع والعشرين.

٣ — Logistoricon libri LXXVI ، [٣٠] محاورات كتبت بعد سنة ٤٥ فى موضوعات كثيرة . وإذا أصدرنا حكمنا قياساً على ما وصل منها إلينا ، فإننا نقرر أنه كان لكل محاورة عنوان مزدوج ، مثل « كاتوس ، عن تنشئة الأولاد » ، « ماريوس ، عن الحظ » ، « أتيكوس ، عن الأعداد ، (pius) عن السلام[٣١] » .

٤ — (هيبدوماد أو الصور) Hebdomades vel de imaginibus libri XV

وقد كتب سنة ٣٢ . والكلمة الثانية من العنوان ، وأعنى بها الصور ، توضح هدفه الرئيسى : فهى مجموعة من سبعمائة صورة لمشاهير اليونان والرومان ، وهى فى الغالب لمحات قصيرة لكثرة عددها . ويقول پلينى[٣٢] : إن النص كان مزيناً بسبعمائة صورة . وهذا ممكن ولكنه عجيب ! ومن الممكن أن أحد المخطوطات كان مزخرفاً على ذلك النهج (؟) وكلمة هيبدوماد التى ذكرت فى العنوان أولا تعيد إلى ذاكرتنا أهمية العدد سبعة أو الدورة السبعية[٣٣] .

٥ — Disciplinarum libri IX . أشرنا آنفاً إلى منهاج Disciplinae ڤارو ، وقد كان نوعاً من الموسوعات أو المجموعات التى تشتمل على الدراسات

الملائمة للسيد الكامل ، كل الفنون الحرة ، لتمييزها من المعلومات العملية مثل الزراعة والطب وإدارة الأعمال .

تعالج كتبه الأخرى التاريخ والقانون والجغرافيا والموسيقى والطب وكثيراً غيرها كان علامة تواقاً إلى جعل المعارف اليونانية فى متناول إخوته من الرومان الذين كانوا فى حاجة إليها ، وكان يتحرق شوقاً إلى توضيح ماضى الرومان الدينى وغير ذلك . مثال ذلك أنه استمر فى الدراسات التى بدأها أستاذه ستيلو[٣٤] لمسرحيات بلاوتوس الكوميدية . لم يتمكن من بحث أى شىء بحثاً عميقاً ، لأن الحقل الذى بدأ فى حرثه كان كبيراً جداً ، ولكنه أشبع حاجة حقيقية ماسة : لقد فسر الآثار اليونانية والرومانية للجماهير المتزايدة من المواطنين الذين لم يكن فى استطاعتهم أن ينهلوا من المورد الأصلى . ولقد أدى على مستوى أقل مما كان شيشرون يؤديه على مستوى أعلى ، وجهود كلا الرجلين متساوية فى نفعها .

عرف فضل ڤارو بين معاصريه ، وفى مقدمتهم شيشرون ، وعرف بعد ذلك على درجة أكثر عند رجال أمثال القديس أغسطين (النصف الأول من القرن الخامس) وكان يرقب نور الحضارة القديمة وهو يخبو . وبعد ذلك بزمن طويل ، وفى وقت دانتى ، كان يعتبر أحد كبار العلماء ، فى زمرة شيشرون وڤرجيل . وقد يذهلنا ذلك ، ولكن يجب ألا ننسى أنهم عرفوا عن علمه أكثر مما نعرف .

لم يناقش ڤارو فى الفصل السابع عشر (الفلسفة) ، لأنه لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الاصطلاحى الدقيق ، بل هو لا يسمو حتى إلى مرتبة شيشرون ولوكريتيوس ، وإن كان مفكراً جاداً ، شديد الاهتمام بمشكلات الحياة الأساسية .

مثال ذلك : يشير القديس أغسطين[٣٥] إلى أن ڤارو بحث فى الخير الأسمى[٣٦] Summum bonum ويبيّن أن هناك مائتين وثمانية وثمانين رأياً فى هذا الموضوع . وقد حلل هذه الآراء ، ووجد أن الفرق بينها كثيراً ما

يكون ظاهرياً . وردها من ١٨٨ إلى اثنى عشر ، ثم إلى ستة ، وأخيراً (مثله فى ذلك مثل شيشرون) إلى ثلاثة . فالخير الأسمى إما أن يكون خيراً للجسد ، وإما أن يكون خيراً للروح وإما أن يكون لكليهما . ووقع اختياره فى النهاية على الفرض الأخير . وأجازت الأكاديمية هذا الرأى ورفضه الرواقيون .

ساللوست :

عرضنا لكل من ساللوست وليڤى فى الفصل الرابع والعشرين . ولكن ينبغى هنا أن نبرز خصائصهما الأدبية ، ولعله السبب الرئيسى فيما بلغا من شهرة وما خلفا من أثر . كان كل منهما متمكناً من النثر اللاتينى ومبدعاً فى خلق قدر من أجود الأمثلة فى عصره الذهبى . كانا متعاصرين مثل الآباء والأبناء ، فعندما توفى ساللوست سنة ٣٤ ، كان عمره اثنين وخمسين عاماً وعمر ليڤى ٢٥ سنة . غير أن الاختلاف فى الزمن أعظم بكثير فى الواقع مما يمكن أن يستنبط من عدد السنين .

كان ساللوست أقرب إلى قيصر وشيشرون ، فى حين كتب ليڤى معظم مؤلفاته فى عصر أغسطس . ولم يمت إلا سنة ١٧ ق.م فى عهد تيبريوس .

وقد حذا فى أسلوبه ووجهة نظره التاريخية حذو ثوكيديديس ، وحاول أن يحاكى حياد المؤرخ اليونانى . أما أسلوبه فموجز واضح ودرامى . وأهم ما يميزه قدرته على تصوير الشخصيات مباشرة . أو بواسطة خطب يفترض أن الشخص ألقاها ، وهى توضح أهواءه ونقائصه ، أعنى شخصيته . ولقد اشتد ولوعه بالإيجاز والتعبير فى قوة حتى أضحت بعض جملة هجائية . مثال ذلك أنه يقول : « إضاعة ثروة الآخرين يسمى (الآن) جوداً ، وفى التهور الإجرامى شجاعة » . أو « الصداقة بين الأخيار تآمر بين الأشرار[٣٧] » وهذان المثلان يبينان أيضاً ميله إلى المقابلة بين الألفاظ والأفكار ونزعته السيكلوجية . فقد عنى الجد وأصابه شىء من خيبة الأمل فوجد عزاءها فى الصراحة والمرارة الأدبية .

ليڤى :

كان پوليبيوس وشيشرون أهم نموذجين حذا حذوهما . وهو من الناحية الفنية أعلى بكثير من الأول ، وإن كان أقل علماً ، ونظرته إلى التاريخ خطابية ، أما هدفه العام فهو تبرير مانالت روما من مجد. إن « عقوده » (Decades) لا تقل عن الإنيادة من الناحية القومية ، ولكن بينما استخدم ڤرجيل الشعر ، كتب ليڤى نثراً ، ونثره أبلغ نثر شيشرونى يمكن الوصول إليه ، وكان مخلصاً إخلاص المواطن الصالح ، وإن كان هذا لا يكفى لباحث محقق فقد كان الرومان ، كما وصفهم ، أحسن بكثير مما فطروا عليه ، كان يرغب فى تثقيف قرائه وتحسين أخلاقهم . فاستخدم التاريخ كمرآة تريهم أنفسهم كأحسن ما كانوا ، وفى وسعهم أن يستعيدوا مجدهم إن كانوا جديرين بأجدادهم .

وأمثال هذه الوسائل لا تلائم اليوم أذواقنا ألبتة . وقد فقد ليڤى كثيراً من مكانته . والحق أن الباحثين المحدثين قلما يستطيعون احتماله . ولكنه أعطى الرومان فى عصر أغسطس ماكانوا فى حاجة إليه . فنال تاريخه من القبول مثل ما نالت الإنيادة . وعندما أراد قوم فى العصور المتأخرة إحياء مجد روما وكرامة الرومان ذهبوا إلى ليڤى الذى أعجبوا به إعجابهم بشيشرون وڤرجيل . وقد امتدحه دانتى[٣٨] وعلماء عصر النهضة الذين كان مزاجهم يستطيع أن يقدر نظرته الخطابية للتاريخ وخصائصه الأدبية. وليس لدينا هذا المزاج ، وليس فى وسعنا أن نستعيده مرة أخرى .

شعراء الرومان فى عصر أغسطس

مايكيناس :

بينما ترك لنا ليڤى أحسن صورة لعصر أغسطس فى النثر اللاتينى فإن بهاء هذا العصر الأدبى إنما يتمثل حقاً فى شعره . وقبل أن نقدم على تحليل

معروضاته الشعرية ، يحسن أن نقف ولو دقيقة واحدة عند رجل لم يكن شاعراً ، ولكنه كان صديق الشعراء ، ولم يكن كاتباً خلاقاً ، ولكنه كان راعى الأدب فى زمن أغسطس ، كان عظيماً فى إخلاصه للفنون والآداب ، حتى إن اسمه أصبح علماً يطلق على خلفائه . فعندما نرغب فى تقديم أعظم تكريم لمن يرعى العلوم الإنسانية ، فإننا نسميه مايكيناس[٣٩] .

فمن هو مايكيناس الأول ؟ أول ما يثير الدهش أن يعلم المرء أن جايوس ما يكيناس لم يكن سليل الطبقة الأرستقراطية الرومانية ، وإنما كان من أصل إتروسكى ، وقد يساعدنا هذا على تذكر أن أبناء الجمهورية الرومانية الأشداء تعلموا على أيدى الإتروسكيين قبل أن تتفتح أمامهم ذخائر اليونانيين . كان والد مايكيناس وجده مواطنين رومانيين ، وكانا ينتسبان إلى طبقة الفرسان . ونحن نعرف بالتحديد اليوم الذى ولد فيه وهو الثالث عشر من أبريل،[٤٠] لاندرى السنة بالدقة (لعلها حوالى ٦٨) . وقد تلقى أحسن تعليم فى اللغة اليونانية واللاتينية ، وألف قطعاً نثراً وشعراً . وقد تعرف إلى أوكتافيوس الأبوللونى (من أعمال إيليريا) قبل موت قيصر ، ولم يعرف أنه صديق[٤١] له إلا سنة ٤٠ ونمت صداقتهما منذ ذاك التاريخ ، واستخدمه أوكتافيانوس مستشاراً ونائباً دبلوماسياً ، واستعمله الإمبراطور كاتم سره الأمين. وكما كان أجريبا يد أغسطس اليمنى فى شئون الحرب والأشغال العامة . كان مايكيناس مستشاره الأول فى الآداب الشعبية والإنسانيات ، ولم تكن هذه وظيفة بالمعنى المتعارف ، ولكنها كانت ذات أهمية ضخمة ، وقد قام بأعبائها على أحسن وجه . كان مايكيناس صديقاً لهوراس ولڤرجيل ولپروپيرتيوس ، وكان يرعاهم باسم الإمبراطور واسمه خاصة ، وقد توفى فى سنة ٨ ق.م ، موصياً بكل ضياعه الشاسعة إلى أغسطس .

من المحتمل أن مايكيناس كان من أتباع أبيقور ؛ كان هادئاً جواداً . وكانت رعايته المستنيرة للآداب ، أساساً ، صورة من الرعاية الإمبراطورية .

وأية رعاية أخرى لم تكن لتمتد طوال سيادة أغسطس . وجدير بنا أن نعترف بأن أغسطس أتيح له رجل صالح لتنمية مجد حكمه الأدبى .

ڤرجيل : (٧٠ — ١٩) :

ظهر أعظم شاعرين فى روما القديمة . ڤرجيل وهوراس ، كما ظهر مشجعاهما ، أغسطس ومايكيناس ، إلى عالم النور خلال سنوات قليلة جدا (٧٠ — ٦٣) . وكان أغسطس أصغرهم ، وربما كان ڤرجيل أكبرهم ، وقد سبق أن تحدثنا عنه بمناسبة « الزراعيات » ، ولكن يجب أن نعود إليه ، وأن نحفل به فى عنايته على قدر ما يسمح به إطار كتابنا ، هذا لأن شخصيته من أعظم الشخصيات التاريخية فى الغرب كله . فهو ينتسب إلى مجموعة صغيرة جداً من الشعراء العالميين ، هاهو ذا يقف بين هوميروس ودانتى ، فليس هناك شعراء آخرون يتساوون معهم ، على الرغم من أن البرتغاليين قد يذكرون اسم كامويس Camoes والانجليز والبروتستانت ميلتون .

والعلاقة بين ڤرجيل وهوميروس متينة جداً ؛ لأن الأول حاكى الثانى . فهذا مثل جديد ، بل هو أعظم مثل يبهر الألباب ، لاعتماد العبقرية الرومانية على العبقرية اليونانية . وكما شرح لوكريتيوس وشيشرون الفلسفة باللغة اللاتينية ، فكذلك أبدع ڤرجيل ملحمة لاتينية حاذى فيها النماذج اليونانية ، أعنى الإلياذة والأوديسا . ولعل العلاقة بينهما كانت أعمق وأوثق . وأعجب القدماء بهوميروس أيما إعجاب وعرفوا أشعاره معرفة جيدة ، حتى إن الباحثين من الرومان ذهبوا إلى ذلك الاعتقاد الخرافى ؛ وهو أن روما أسسها سلالة الملوك من الطرواديين ، فكانت الإنيادة أول تطور تام لهذه الخرافة ؛ وبالتالى كانت الإلياذة مقدمة ، لا للتاريخ اليونانى فحسب ، بل وللتاريخ الرومانى أيضاً .

ولد ڤرجيل (Publius Virgilios Maro) فى منتصف شهر أكتوبر (١٥ من أكتوبر) سنة ٧٠ ، فى قرية بالقرب من مانتوا من أعمال ڤينيسيا Venetia

شمال نهر البو . وكان أبوه مزارعاً صغيراً كسب عيشه من تربية النحل وتوافر لديه مال يكفى لإرسال ابنه — الذى لاحت عليه أمارات الذكاء — فى سن الثانية عشرة إلى مدرسة جيدة فى كريمونا . ونجد ڤرجيل هناك وهو يحتفل بعيد ميلاده الخامس عشر (١٥ من أكتوبر ٥٥) بارتداء « التوجا toga virilis» (عباءة الرومان) المعدة للرجال ، أعنى أنه أصبح يعتبر رجلا وهو فى الخامسة عشرة ، أقل بقليل من السن المعتاد . وقد ذهب فى السنة ذاتها إلى ميلان لفترة قصيرة ، ثم إلى روما لإتمام دراسته ، وخاصة الريطوريقا ، ومن المحتمل أنه درس علم الفلك والطب ، وبعد ذلك بقليل أصبح تلميذاً لسيرو الأبيقورى . وبدأ اهتمامه بالشعر مبكراً جداً تحت تأثير شعراء الإسكندرية وكاتوللوس الذى حاكاهم ، ولوكريتيوس بوجه خاص . ومن المحتمل أنه كان فى روما قبل الفترة الممتدة من ٥٣ إلى ٤٦ وأثناءها وبعدها . ونستطيع أن نتخيل الاضطراب والارتباك الذى يصيب شاباً مرهف الحس ، معتل الصحة كالغريق فى المدينة العظيمة ، مواجهاً لآلام الحرب الأهلية والفساد السياسى ، وفى وسعنا أن نتخيل أيضاً حنينه إلى الأرض الحلوة مسقط رأسه ، وقد عاد إلى ما نتوا حوالى سنة ٤٤ أو ٤٣ . ومن سوء الحظ أنه بعد قليل (سنة ٤٢) صودر ذاك الجزء من إيطاليا (وفيه مزرعة أبيه) ليوزع على قدماء المحاربين فى الحرب الأهلية . فعاد ڤرجيل إلى روما لينال بعضاً من التعويض .

وبعد أن وضع أوكتافيانوس حدا لهذا الاضطراب ، كان ڤرجيل على استعداد أن يبجله ، وقد حظى برضا مايكيناس بسرعة واستمتع بصداقة هوراس . أما مزرعته فلم تعد إليه ، ومنح بدلا منها ڤيلاً فى نولا[٤٢] . كان هذا حادثاً فاصلا ؛ فقد أحب ڤرجيل كامبانيا وخليج نابلى أكثر من مسقط رأسه ، وليس ثمة شاهد على أنه عاد قط إلى مانتوا. لقد كتب الرعويات Bucolica على ما يظهر ، بين سنتى ٤٢ و ٣٧ ، وكان ذلك فى روما. ولكن الزراعيات نظمت فى نولا بين سنتى ٣٦ و ٢٩ ، أما الإنيادة فقد دبجت فى نولا وكومای Cumae

وإذن فإن أهم ما أبدع من ثمار حياته كان فى كامبانيا . وياله من قطر يحيا فيه شاعر ، قطر يزخر بالجمال الطبيعى والذكريات المجيدة . وقد أعطى القارئ فكرة عن هذا فى الفصل الخاص بحقول فليجرا Phlegra ومن شاء أن يرى : ڤرجيل على حقيقته، فليبحث عنه هناك فى الأرض التى اكتملت فيها عبقريته ، فى مستقط رأسه .

الإنيادة(٤٣) :

هى قصة أينياس أحد أمراء البيت المالك فى طروادة ، وتطوافه بعد الاستيلاء على مدينة آبائه وأجداده . طاف هو ورفقاؤه سبع سنوات من الإقليم الذى تقع فيه طروادة إلى تراقية وكريت وإبيروس وتارنت وصقلية وقرطاجة ، ثم عاد ثانية إلى صقلية فكومای ، وهناك استشار سيبيل Sibyl ولا تيوم وتزوج لا ڤينيا ابنة الملك . وهذه أسطورة عن أصول روما السحيقة ، كأساطير نايڤيوس وإنيوس ، وإن زاد فيها ڤرجيل كثيراً من علمه وحماسته . وكان هدفه أن يكتب الملحمة القومية لوطنه ، كما كان يرمى إلى منافسة اليونان . لقد حاكى فى كتابتها الإلياذة والأوديسيا ، واستعار كثيراً من شعر اليونان الآخرين ، كما استعار من شعراء روما الذين ذكروا منذ برهة .

وتقسم الإنيادة إلى اثنى عشر كتاباً ، كلها من طول واحد تقريباً(٤٤) ولو حاولنا تلخيصها لكان ذلك أمراً شاقًّا . وإذا نظرنا إليها على أنها قصة إخبارية ، بدت محيرة ومخيبة للأمل . لتفككها وتبعثرها ، تنتقل بالقارئ هنا وهناك فيضل الطريق ، وبدلا من أن يسير وراء الشاعر فى تيه الحوادث التى لا حصر لها ، يفضل أن نشير إلى خصائص العمل كله .

بعد كثير من المتاعب وصلت الدولة الرومانية إلى ذروتها وأصبح الوقت ملائماً لتعليل ذلك وتبريره . فلم تتم عظمة روما مصادفة ، وإنما جاءت نصراً محتوماً لتطور ترعاه الآلهة . وفكرة ڤرجيل الغريبة أن يفهم تطور المجد الرومانى كما فهمه بطله أينياس كنبوءة الذى عاش قروناً عديدة قبل ذلك . فمجد

روما ومجد الإمبراطور أغسطس ضما معاً فى تصور واحد .

وكثير من الإنيادة يبدو فى نظر القارئ الحديث وعليه مسحة كبيرة من الصنعة ، وينبغى أن يضع نفسه فى موضع الإنيادة الأول ، أغسطس وأصدقاؤه . فمعرفتنا بالتاريخ القديم والميثولوجيا والأساطير قليلة جداً حتى إننا لا نستطيع أن نتابع الشاعر دون الاستعانة بعدد كبير من الهوامش ، والقراءة ، مع كل تلك الوقفات ليست ممتعة . أما المثقفون الرومانيون فكانوا يستمتعون بسرور مزدوج ، أولا لأن ذلك يطلعهم على الذكريات اليونانية ، وثانياً لأنه يتيح لهم الكشف عن مصائر الرومان ، وتحقيق رغبات الرومان وطموحهم .

وبعد كل هذا ينبغى أن نعترف بأن ميثولوجيا ڤرچيل جافة ، وآلهته وإلاهاته نماذج تقليدية ولا حياة فيهم ، أو هم يسلكون مسلك سادة الرومان ويتحدثون مثلهم ، وقليل من دبت فيهم الحياة فعلا وأصبحوا حاكمين . وإنى لأتذكر ديدو[٤٥] التى كانت متحركة حقاً ، فهى ، إلى حد ما ، أينياس نفسه « أبنياس الورع » .

ونتنظر من شعر الملاحم أن يكون بسيطاً لا تكلف فيه . ولكن الإنيادة مليئة بالتكلف . ويكاد يكون من المحال أن تقرأ من أولها إلى آخرها ، وتحتوى مع هذا على كثير من الحوادث المؤثرة وعدد كبير جداً من الأبيات الرائعة . ولطالما بقيت اللغة اللاتينية لغة حية ، كان المثقفون يحفظون كثيراً من هذه الأبيات عن ظهر قلب ويستطيعون الاستشهاد بها دون ما حاجة إلى مرجع . كان كل إنسان يعرفها كما يعرف الإنجليز أبياتاً من شكسبير دون أن يستطيعوا فى كثير من الأحوال أن يردوها إلى موضعها من مسرحياته . ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك ، كانت تلك الأبيات جميلة فى ذاتها ، وكان من البهجة الكبرى أن يستهديها الإنسان نفسه ، أو أن يتعرفها توًّا فى أقوال أصدقائه وكتاباتهم .

وقد قصد درس كثير من الإنيادة ، كما يدرس لوكريتيوس . مثال ذلك :

يبدأ الكتاب السادس بوصول أينياس إلى بلدة كومای . ثم يتبادل الرأى مع سيبيل ويرجو أن يسمح له بزيارة الدار السفلى ، فهذا الجزء يتحول إلى رسالة فى فلسفة الأخرويات ، يشرح نظرية الثواب والعقاب بعد الموت ونظرية الفيثاغوريين فى التناسخ ، ورأى الرواقيين فى روح العالم . ويحوى هذا الكتاب كذلك أحسن عرض لعظمة روما الحالية والمستقبلة . ولا بد أن كل مواطن أنشد بفخر وسرور الأبيات التالية :

"Tu regere imperio populos; Romane, memento;
hac tibi erunt artes, pacique imponere morem,
parcere subjectis, et debellare superbos".

وأبيات كهذه رفعت ڤرجيل فوق كل شاعر آخر فى العصر الرومانى ، لقد أحيت الإمبراطورية ، ولكنها خلدته .

وقد لوحظ أن الإنيادة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الملاحم اليونانية فى أنها مليئة بالورع الدينى والجد الأخلاقى ، تهتم بتطورات أينياس والحروب الأهلية ، وتهتم فوق هذا وفى عمق بالحجج والحرب المقدسة . وفى نظر ڤرجيل كانت الديانة الرومانية جزءاً أساسيا من الإمبراطورية الرومانية ، ولا تستطيع هذه الإمبراطورية أن تقوم بدونها . وعلى الرومانى أن يكون ورعاً كأينياس ، قوياً مثل أغسطس[٤٧] .

من أحسن المعالم طرافة فى الإنيادة حب الشاعر للطبيعة (فبعض أبياتها يمكن أن يقارن بأبيات من الزراعيات والرعويات) وحبه للإنسان ، أعنى حنانه ورقته . لم يكن ورعاً فقط ، وهذا حسن ، بل كان رحيماً أيضاً من سويداء قلبه ، وهذا نادر . وأمثال هذه الصفات ذات قيمة كبرى فى السنين القاسية ، والعصر الذى عاش فيه ڤرجيل لم يكن عصراً ذهبياً ، بل عصر دم ودموع ، عصر قسوة ووحشية[٤٨] . ولا يستطيع المرء أن يوفى ڤرجيل حقه من الثناء لأنه نشر مثلا علمياً أفضل مما عرف فى زمانه ، كان أعظم ناشر للحضارة فى زمانه ومكانه ، واستمر كذلك طوال العصور .

استغرق ڤرجيل فى وضع أعظم مؤلفاته إحدى عشرة سنة (٣٠ – ١٩) بدأ فى تأليفها فى كاستانيا، أو من الجائز أثناء زياراته المؤقتة لصقلية . وبقى كثير منها دون التمام . وكفنان ماهر ، كان غير راض عن كثير من الأبيات وكان يرغب فى أن يستبدلها بأحسن منها . ولم يرض عن الكتاب الثالث خاصة وهو الذى يصف رحلة أينياس ، وشاء أن يزور اليونان وآسيا ليتمكن من إضافة تفاصيل وألوان إلى الصورة الأساسية . فسافر سنة ١٩ وفى نيته أن يخصص ثلاث سنوات لهذه الرحلة ، ولكنه مرض فى ميجارا واستطاع بصعوبة أن يصل إلى أثينا ، وحين ذلك كان أغسطس ينوى العودة إلى بلاده بعد أن أمضى إجازة عامين فى بلاد اليونان ، وأدرك أن الشاعر لم يكن فى حال تسمح له بالا ستمرار فى رحلته وأقنعه بالعودة معه . وبعد رحلة شاقة نزلا فى برنديزى ، وكان ڤرجيل إذ ذاك مريضاً جداً ، ضاق صدره فأمر بإبادة مؤلفه ، وقد توفى فى برنديزى قبل أن ينفذ هذا الأمر فى الحادى والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩ق.م .

ودفن طبقاً لرغبته فى قبر يبعد عن نابلى قدر ميلين على الطريق إلى بوزولى ، وقد ذهبنا مع القارئ إلى مكانه فى فصل سابق .

وقد أهمل أغسطس أثناء حكمه تنفيذ رغبته فى إبادة الإنيادة ، بل على العكس أمر صديقين من أصدقاء ڤرجيل هما لوكيوس ڤاريوس روفوس وبلوتيوس توكا أن يراجعاها ويقوما على نشرها ، ولم يضيفا شيئاً إليها واقتصرت مراجعتهما على تصحيحات طفيفة .

ولما كانت شهرة ڤرجيل قد استقرت قبل وفاته ، ولما كان الإمبراطور نفسه عده شاعر روما الذى سما على كل الشعراء الآخرين ، فقد قامت رواية شعره على أسس متينة منذ البداية .

فألقيت محاضرات عامة عن عمله بعد وفاته بوقت قصير ، ألقاها كوينتوس كايكيليوس إپيروتا Epirota ،[٤٩] رئيس مدرسة روما منذ سنة ٢٦ ق.م. كانت أمثال هذه المحاضرات وقفاً على هوميروس أو على مؤلفين يونانيين آخرين وكان

إپيروتا أول من اهتم بشاعر رومانى .

هناك سببان للاحتفاء بڤرجيل : أولهما وأحسنهما أنه كان شاعراً عظيماً وشاعراً قومياً ، وثانيهما علمه ، وعلمه فى الإنيادة من ذاك الطراز الذى يحتذب فى قوة نقد النحاة والشراح . فشرحها أيليوس دوناتوس (النصف الأول من القرن الرابع) ودوناتوس هذا من كبار النحاة المشهورين ، واسمه دونات Donat أو دونيت Donet أصبح يفيد النحوى . ووضعت لها شروح أخرى . وقد جمع كل تلك التعليقات سيرڤيوس الذى ازدهر فى القرنين الرابع والخامس. واستخدمت مجموعة سيرڤيوس فى الأغراض المدرسية ، وهذا يوضح جانباً آخر من شهرة ڤرجيل ، فقد أصبح منذ زمن مبكر كلاسيكياً ، بمعنى أن مؤلفاته استخدمت فى فصول الدراسة وتثقف بها بعض الأطفال ، وعانى منها كثير غيرهم .

وقد اعتبر ڤرجيل مبشراً بالمسيح . لما عرف به من رقة وورع ، ولتنظيمه الرعوية المسيانية No. IV, 40 B.C. ، وكذا ذاع شعره فى الدوائر المسيحية . وقرئت مؤلفاته ، فى حين كان رجال الكنيسة يعلنون سخطهم على بعض المؤلفين الوثنيين ولا يستحبون قراءة مؤلفاتهم . ولهذا لم تنقطع رواية شعره ألبتة فى الغرب اللاتينى ، ومن الأمثلة الأولى على ما ناله من تكريم استخدام دانتى له رائداً فى الجحيم وجهنم .

كانت شهرته فى القرون الوسطى من الذيوع، بحيث تحولت إلى أساطير وخرافات . فأصبح شخصية أسطورية : رجلا أوتى حكمة أعلى من البشر ، أصبح ساحراً ، أو محضر أرواح(٥٠) . واستخدم الجهال من المعجبين به شعره ليجمعوا منه مختارات Centos ، قصائد كلها أبيات من ڤرجيل أو أنصاف أبيات نسقت على نهج يجعلها تؤدى معنى لا يمت إلى ڤرجيل بصلة . وفى النهاية استخدم أناس كثيرون أشعاره . ولا سيما الإنيادة — لاستطلاع الغيب من أول كلمة أو من البيت العاشر فى صحيفة تؤخذ اعتباطاً . وهذه العرافة تسمى نبوءات ڤرجيل Srtes Voirgilianac . وقد لجأ الناس إلى مثل هذا

فى الإنجيل Sortes Sanctorum والقرآن ، وأشعار حافظ* (النصف الثانى من القرن الرابع عشر)[٥١] .

ومخطوطات ڤرجيل أفضل شاهد على أن رواية شعره استمرت من العصر القديم دون انقطاع . فليس هناك مؤلف لا تبنى آخر وصلنا من مؤلفاته هذا العدد الكبير من المخطوطات ، ويرجع سبع منها على الأقل إلى الفترة التى تمتد بين القرن الثانى والسادس ، وكلها كتبت بحروف كبيرة دون ترك فاصل بين كل كلمة وأخرى ، على لوحات من الجلد فى صورة مجلدات codices وهناك عدد كبير من المخطوطات كتبت بالحروف الصغيرة فى عصر الكارولينجيين (القرن التاسع) ، وفى ذلك التاريخ كان نص ڤرجيل قداستقر تماماً .

والأمر الثانى الذى لا بد من بحثه هو الطبعات الأولى ، لا لأن الزراعيات كتاب علمى فحسب وواحد من أهم المؤلفات فى عصره ، بل لأن ڤرجيل أحد الشخصيات المبرزة فى ثقافتنا . وأقامت الطبعات الأولى الرواية على أساس لا يفنى[٥٢] .

وقد جمع سوينهيم وبانّارتز أعمال ڤرجيل كلها (Opera)فى طبعة أولى روما ١٤٦٩ (شكل ١٠٢) . وجاء بعدها طبعتان أخريان فى فترة لا تزيد على السنة ، (ستراسبورج ١٤٦٩–١٤٧٠ البندقية ١٤٠) . وبلغت الطبعات فى القرن الخامس عشر ٩١ طبعة ، وفى القرن السادس عشر ١٨٤ ، وفى القرن السابع عشر ٨٢ ، والطبعات التى أعدها Nicklaas Heinsius (أمستردام ١٦٦٤ و ١٦٧١ و ١٦٧٦) هى بداية الطبعات النقدية .

وظهرت أول طبعة من « الرعويات » و « الزراعيات » معاً فى باريس فى سنة ١٤٧٢ ، ومن الزراعيات وحدها فى ديڤينتر حوالى سنة ١٤٨٦ .

وأقدم ترجمات طبعت هى كما يلى : الإنيادة ، إلى الإيطالية (Vicenza) ١٤٧٦) . والزراعيات (حوالى ١٤٩٠) ، الإنيادة إلى الفرنسية (ليون ١٤٨٣) وإلى الإنجليزية Book of Eneydos compyled by Vyrgyle (لندن ، وليام

* هو شمس الدين محمد حافظ الشاعر الغنائى الفارسى ، وكان عفيفاً فى وصف مشاهد الحب . توفى عام ١٣٨٩م. الناشر

كاكستون، ١٤٩٠ (شكل ١٠٣، الإنيادة إلى اللغة الألمانية (ستراسبورج ١٥١٥) ، الزراعيات (Görlitz) (١٥٧١ — ١٥٧٢) ، الإنيادة إلى الإسبانية (أنتويرب ١٥٥٧) ، والزراعيات (سالامانكا ، ١٥٨٦) الإنيادة إلى اللغة البولندية (كراكاو ، ١٥٩٠) .

وهذه الإشارات القصيرة كافية للدلالة على أنه فى عام ١٦٠٠ كان من السهل أن يقتضى المرء نسخة مطبوعة من ڤرجيل، لا فى اللغة اللاتينية وحدها (٢٧٥ طبعة) . بل فى ست لغات أخرى .

هوراس : (٦٥ — ٨) :

لا تفوق شهرته كشاعر رومانى إلا شهرة ڤرجيل إلا أنه لم يكن محبوباً مثله ، ولم يقل أحد إنه كان ساحراً ، وكل من ألم باللغة اللاتينية إلماماً كافياً وفاه حقه من الإعجاب والتبجيل ، وحتى القرن الماضى ، كان يصدق ذلك على كل مثقف . أبدى مرة حيرته من مغزى الشهرة وفى نهاية رسائله ، خاطب أحد كتبه قائلا : ربما تترك أصابع العامة آثارها القذرة فيك ، أو تصبح طعاماً للعثة . أو تنفى إلى أفريقية وإسبانيا . . . آه ، وربما أضمر القدر لك أمراً أشد فظاعة : قد تصبح أحد الكتب المدرسية التى يقرؤها المبتدئون فى ضواحى روما[٥٣] وقد نال هوراس هذا النوع من المجد . فهوراس أحد الكتاب الكلاسيكيين[٥٤] ، وقد أصبحت كتبه مختصرات مدرسية . وماذا نتوقع غير هذا ؟ أليس هذا هو الجزاء العام للعبقرية الأدبية فى كل مكان ؟

ولد كوينتوس ڤلاكوس هوراتيوس فى فينوسيا[٥٥] فى الثامن من ديسمبر سنة ٦٥ . وكان والده رقيقاً أولا ثم حرر وجمع مالا . وقد أرسل هوراس فى صغره إلى أحسن مدرسة فى روما ، ولاستكمال دراسته بعث به إلى أثينا ، وكان لا يزال بها سنة ٤٤ بعد مقتل قيصر بقليل ، وقد انتظم فى سلك جيش بروتوس فى رتبة نقيب للجنود tribunus militum (وبعبارة أخرى ماجور) .

وعندما هزم بروتوس وكاسيوس على يد أوكتافيان وأنطونيوس فى موقعة

فيليبى سنة ٤٢ . عاد هوراس الصغير أدراجه (مهيض الجناح[٥٦] وأصابته عين الكارثة التى حلت بڤرجيل ، وكان أبوه قد توفى أثناء ذلك ومزرعته قد صودرت[٥٧] فحصل على وظيفة كاتب Scriba quaestorius فى الحكومة وقرض الشعر وفاز بصداقة ڤرجيل وڤاريوس[٥٨] ، ثم بصداقة ما يكيناس عن طريقهما . فسار وأوقف على الشعر وقتاً متزايداً . وتسلم هدايا مختلفة ، منها مزرعته المحبوبة فى تيبور (تيفولى) بالحوض الأعلى لنهر أنيو على مقربة من روما . وبعد موت ڤرجيل ، أصبح الشاعر القومى المبرز . توفى فى السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ٨ ق.م بعد موت حاميه ما يكيناس بشهور قلائل .

لا يمكن تحليل أعماله لأنها مجموعة من الأشعار نظمت فى فرص مختلفة وموضوعات متعددة . وكثير من تلك الأشعار يستحق وصفاً مستقلا ، ولكن من المحال التحدث عنها كلها . وقد استقى إلهامه من شعراء اليونان ومن لوكريتيوس وڤرجيل . وبخاصة من الحوادث والشعور اليومى .

ونشرت أشعاره فى عدد من الكتب أو المجموعات . مجموعة الإيبود وتحتوى على ١٧ قصيدة نظمت بين سنتى ٤١ و ٣١ ، والهجائيات فى كتابين وتحتوى على ١٨ قصيدة نظمت حوالى ٣٥- ٣٠ ، أربعة كتب من الأناشيد Carmina حوالى ١٠٣ قصيدة غنائية تتفاوت من ثمانية أبيات إلى ثمانين بيتاً . وفى إحدى هذه القصائد (٣ ، ٣٠) زعم (وهو محق فى زعمه) أنه قد شيد أثراً أطول عمراً من البرنز monumentum aere perennius . ثم جاءت الرسائل وهى خطابات شعرية ، يحوى الكتاب الأول منها ١٩ رسالة نظمت فى سنة ٢٥ ق.م ، ويحتوى الكتاب الثانى على خطابين طويلين ، الأول موجه إلى أغسطس حوالى سنة ١٣ فى الدفاع عن الشعر ، والثانى عن الأسلوب والتعليم حوالى سنة ١٨ . وقد بقيت قصيدتان مستقلتان لا بد من الإشاره إليهما ، نشيد الجيل Carmen saeculare وقد كتبه بأمر من أغسطس لألعاب الجبل سنة ١٧ لتنشده جوقة من البنين والبنات ، ورسالة فن الشعر Ars poetica التى نظمها فى أواخر حياته .

Loquēte splēdore: ac rerū dignitate: locupletiore Virgilio Poetā: unū fortasse Homerū Græcū nullum certe Latinū inuenerit. quem merito linguæ Latinæ excellentē ingenio uim delicias nuncupaīt. q̄q ne Poetarū quidē ceteris uel Græcis uel Romānis propīe cōmendationes ut uerē ita ingentes desunt. Maronē igitur: uelut facundiæ dulciorīs formatorē: puerī discendum: ac perdiscendum: tradimus. Ita excolēs: ac fingēs ingeniorum amœnitatem iudicantes: q̄ Poetæ sua uis imprimis: atq; castigata facundissima carmina cū numeris lacte misceantur. Hac nos poetīs ūmum ratione: cum iam ab Impressoribus nostris efflagitarentur Poetæ Pater Beatissime Paule. II. Venete Pontifex Maxime a Mantuani Vatis operibus Poetarū experimendorū impetrandorū auxiliatores sumus adspecti ceteros item temporibus idoneis puerōbi placere didicerimus. per ordinē omnes impressuri. ut autem in eo quoq; uelut perpetua morīs nostri seruaremus rationem: quicquid Maronis scriptorum indepti sumus quantum quidem fuimus intelligendo: in tanta tāq; mēdosa explanorū tenebrarū multitudine: aut modi ppe dēlerēdine: imo uero interneccione in corpus unū omne cōpegimus. Laboriosiore licet nobis studio arbitrantes: tamen magnum nos discendi cupidis ad doctrinam compendiū allaturos. Quam uolūtate: quoniam facile fieri potest: ut rectius non nulla ac frugalius effici potuerint: ingrati erūt: mea opinione lectores: nisi quicunq; uetera habuerint exemplaria: ac ipsi sua in medū prompserīt. Qui uero aetius ppsaūt ac doctius: qd a mendo ac longitudine nobis quoq; communicauerint. ut. n. eu maxime omnium nostri Pater Beatissime: q quidē uerissimi Cathedrā teneris non fuerī auditurē: non laudis ambitione: non uecēdi bonorum amplionibus fundamentis: non uere dēde necessitate. non demū ullius imperantis: arbitrio: edito hunc operi ardore inhibimus: qd est reuera difficillimū.

O the honour of god almyghty/ and to the glorious Vyrgyne Marye moder of alle grace/ and to the Vylyte & prouffyt of all the policye mondayne, this present Bokie compyled by Vyrgyle vyght subtyl and Ingenyous oratour & poete/ Iuxpitalio Eneydos. hath be translated oute of latyn in to ouyn language/ In whiche may alle Valyaunt peyneres and other nobles see many Valorous fayetes of armes. And also this present Bokie is necessarye to alle estatys & habytaunts in townes and castellis/ for they shal see. How sometyme troye the grāte/ and many other places stronge and inexpugnable haue ben & stryged sharpely & assayed. And also coragyously and Valyauntly defended/ and the sayd Bokie is atte this present tyme moche necessarye/ for to enstructe smale and grete. for euerych in his ryght/ to kepe & defende/ & for a thynge more noble is to rede /than Bylas nously to be subdued/

How the ryght puyssant kynge pryamus edyfyed the grete Cyte of Troye Capm primū

Or to here/ openne/ and declare the matere of whiche here after shall be made mencyon/ Je fynde vryten & supposed that Troye the grete cappytall cyte/ and the allenterst of alle the estates of the outre & regyon of Asye was constructe and edefyed by the ryght puyssaūt & renomed kynge Pryamus sone of Laomedon descended of thauncyen stocke of Dardanno by many degrees/ Which was sone of Jupyter & of Electra his wyf after the fyctious poetyque/ And the fyrste originall begynnynge of the generacyon of kynges. And the sayd Troye was enuyronned in fourme of syege/ and of enuyron by Agamenon kynge in grece brother of menelaus/ Which was pursuyed to destroyne

شكل ١٠٢ — ڤرچيل (النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد) الطبعة الأولى من مؤلفاته Opera (روما : Sweynheym و Pannertz ، ١٤٦٩) . أول صفحة من رسالة الإهداء التى بعث بها الناشر ، الأسقف چيوڤانى أندريا دى بوست إلى البابا بول الثانى .

شكل ١٠٣ — ڤرچيل (النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد) . أول طبعة من الإنيادة (فوليو ، لندن : وليام كاكستون ، ١٤٩٠) . هذا الكتاب نادر جداً ، استطاع سيمور دى ريتشى أن يتتبع تسع عشرة نسخة منه فحسب ، إحصاء لطبعات كاكستون ص ٩٨ — ١٠٠ . (أكسفورد ، ١٩٠٩) ،

وبعض هذه الأشعار غنائى محض ، وبعضها الآخر تعليمى يناقش التربية والتعليم والأخلاق العامة والخاصة والأسلوب ، وكانت وجهة نظره فى بادئ الأمر أبيقورية ولكنها امتلأت على نهج متزايد بالمذهب الرواقى ، كانت وجهة نظر الأحبار الهادئين فى زمانه وبعد زمانه ، مادامت لم تصححها المسيحية أو تحل محلها . لقد حمل عبء الدفاع عن الأخلاق وقواعد السلوك القويمة

دون ادعاء للبطولة ، ودن حماسة تزيد على الحماسة المؤدية لأى شيء . كان ڤرجيل إلى حد ما شاعراً علمياً ، وأحد المتخصصين الرومان فى الزراعة ، أما فى شعر هوراس فليس هناك شيء يمت إلى العلم ، ولكنه يعد بين مربى العالم القديم العظام . وفى أحسن أشعاره كانت لغته وعروضه تقتربان من الكمال وكثير من قصائده جواهر صغيرة بقيت متفردة ، لا فى الأدب اللاتينى فحسب ولكن فيما سواه من الآداب كذلك .

تيبوللوس وپروپيرتيوس :

يمكننا الآن أن نتحدث بإيجاز عن ثلاثة آخرين من شعراء العصر الأوغسطينى ، كانوا جميعاً أصغر من ڤرجيل وهوراس ، وهم تيبوللوس وپروبيرتيوس وأوڤيد . وقد ولدوا حوالى سنة ٥٤ و ٥١ و ٤٣ على الترتيب .

وقد توفى الأول والثانى قبل هوراس سنة ١٨ و ١٦[٥٩] ، وتوفى الثالث — وهو أوڤيد — بعد موت أغسطس ، وكان قد عاش حتى سنة ١٧ بعد الميلاد. ويعتبر الشعراء الثلاثة من الشعراء الممتازين ولكنهم لا يقارنون فيما يمس العظمة بڤرجيل أو هوراس .

كتب ألبيوس تيبوللوس عدداً من المقطوعات فى الشوق والرثاء والغزل ، وكانت أبياته واضحة رشيقة ، وكثيراً ما كانت موسيقية . وقد قسم علماء النهضة أشعاره إلى أربعة كتب ، ونسبة الكتابين الأول والثانى فقط إليه صحيحة . نشرت مقطوعات الكتاب الأول حوالى ٢٨ . وتوفى فى العام التالى لوفاة ڤرجيل .

لسنا ندرى من أين جاء تيبوللوس . ولكن سيكستوس پروپيرتيوس ولد فى أومبريا . وربما كانت أسيسى Assisi مسقط رأسه . نظم كتبه الأربعة فى الرثاء بين سنتى ٣٥ و ١٦ . وهى تعالج الحب بوجه عام ، وتعرض أحياناً للأساطير الرومانية . كان هناك جمهور يزداد كل يوم من الذين نالوا حظاً من الثقافة رجالا ونساء أحبوا المؤلفات الرشيقة والخفيفة من

ذاك الطراز الذى وضعه تيبوللوس وپروپيرتيوس ، لأن أرواحهم حرمت أمانيها وتحررت من الوهم ؛ أولا بمصاعب الحروب الأهلية ، وثانياً بحكومة أغسطس الجماعية .

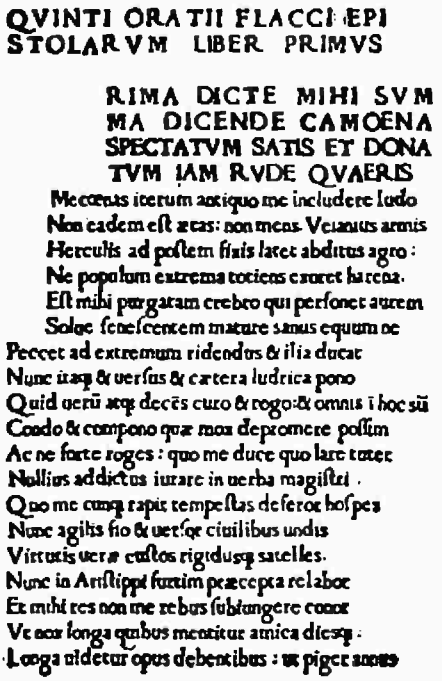
QVINTI ORATII FLACCI EPI
STOLARVM LIBER PRIMVS

RIMA DICTE MIHI SVM
MA DICENDE CAMOENA
SPECTATVM SATIS ET DONA
TVM IAM RVDE QVAERIS
Mecenas iterum antiquo me includere ludo
Non eadem est aetas: non mens. Veianius armis
Herculis ad postem fixis latet abditus agro:
Ne populum extrema toties exoret harena.
Est mihi purgatam crebro qui personet aurem
Solue senescentem mature sanus equum ne
Peccet ad extremum ridendus & ilia ducat
Nunc itaq; & uersus & cetera ludrica pono
Quid uerũ atq; decẽs curo & rogo: & omnis i hoc sũ
Condo & compono quæ mox depromere possim
Ac ne forte roges: quo me duce quo lare tutus
Nullius addictus iurare in uerba magistri.
Quo me cunq; rapit tempestas deferor hospes
Nunc agilis fio & uersor ciuilibus undis
Virtutis ueræ custos rigidusq; satelles.
Nunc in Aristippi furtim præcepta relabor
Et mihi res non me rebus subiungere conor
Ut nox longa quibus mentitur amica diesq;
Longa uidetur opus debentibus: ut piger annus

شكل ١٠٤ — هوراس (٦٥ — ٨ ق . م .) الطبعة الأولى لأعمال « الأوبرا » (البندقية ، حوالى ١٤٧١ — ١٤٧٢) .

أوڤيد (٤٣ ق . م — ١٧ ب . م)

يلاحظ المرء فرقاً كبيراً بين ڤرچيل وپروپيرتيوس يقف عند نهايته أوڤيد آخر هؤلاء الشعراء . ظهرت فى شعره مرة ثانية وعلى أقبح شكل خصائص مدرسة الإسكندرية التى شذبتها عبقرية ڤرچيل وهوراس . وقد كتب أوڤيد أكثر من صديقيه تيبوللوس وپروپيرتيوس وكان أكثر شهرة منهما ، بل اقتربت شهرته من شهرة هوراس ، وربما طغت عليها فى الظروف السيئة .

ونحن نعرف حياته أحسن مما نعرف حياة تيبوللوس أو پروپيرتيوس . ولد عام ٤٣ فى بلدة خميلة هى سولو Sulmo[٦٠] وكان ينتمى إلى طبقة

الفرسان ، وتلقى تعليمه فى روما وأثينا وزار آسيا الصغرى وصقلية (وكان هذا نوعاً من الرحلة الرومانية الكبرى) . لم يتزوج ڤرجيل أو هوراس أو تيبوللوس ولسنا ندرى هل پروپيرتيوس قد تزوج أم لا ؟ ولكن أوڤيد تزوج ثلاث مرات . وكان على جانب كبير من الثراء . وقف وقته على الشعر والحياة الاجتماعية . ولاقى أول كتبه عن الحب نجاحاً زاد من شهرته وكل مؤلف من كتاباته العديدة زادت من شهرته بين الصفوة المحبة لكل جديد، وحوالى سنة ٨ بعد الميلاد ، كان فى الخمسين من عمره ، وكان يعتبر أمير الشعراء وشاعر القصر ، استحق غضب أغسطس لفساد أخلاقه وفى الغالب لأسباب سياسية . وكان فى جزيرة إلبا ، عندما علم بخبر الغضب عليه ونفيه إلى مكان بعيد موحش ، هو توميس Tomis[٦١] ، على الشاطئ الغربى للبحر الأسود . وهذه عقوبة قاسية بالنسبة لأى شخص آخر وفظيعة لمثل هذا الشاعر المحب لكل جديد ولمثل أوڤيد المحب للحياة . كان سكان توميس من الجيتاى (قبيلة تراقية من أهل الدانوب) وأقلية يونانية ، وكانت اللغات التى يتكلمها السكان هى اليونانية وبخاصة الجيتية والسرماتية[٦٢] ونستطيع أن نتخيل نفى هذا الشاعر الشهير إلى مكان لا يفهم فيه أحد اللاتينية . وكان الطقس قاسياً (حاراً جداً فى الصيف ، بارداً جداً فى الشتاء)، والحياة غير مطمئنة . ومع ذلك استطاع أوڤيد أن يحظى بصداقة بعض الأهالى وأن يستمر فى عمله . وقد مكث تسعاً أو عشراً من السنين فى المنفى ومات هناك سنة ١٧ أو ١٨ .

ويكفينا هنا سرد موجز لكتبه الأساسية . وكل منها مجموعة من الأشعار :

١ — Amores ، شعر غزلى مقسم إلى خمسة كتب (١٦ ق.م .)

٢ — Heroides ، خطابات متخيَّلة كتبتها سيدات (أمثال سافو) إلى أحبائهن .

٣ — Amatoris أو Ars amandi فن الحب فى ثلاثة كتب (حوالى ١ بعد الميلاد) ، ومن الممكن أن نطلق على اسم فن الحب اسم فن الحب دون حب .

٤ — المسخ ، خمسة عشر كتاباً فى الأساطير metamorphoses .

٥ — التقاويم Fasti ، تقويم منظوم للأشهر الستة الأولى من السنة الرومانية وقد أتمه حوالى ٨ بعد الميلاد وراجعه فى منفاه .

٦ — Tristia رسائل الأحزان إلى أصدقائه دفاعاً عن نفسه والتماساً لتخفيف الحكم .

٧ — Epistulae ex Ponto رسائل من البحر الأسود ، شبيهة إلى حد ما برسائل الأحزان ، وقد كتب إحداها متأخرة سنة ١٦ بعد الميلاد .

٨ — Halieutica عن أسماك البحر الأسود .

وإلى جانب الميثولوجيا (ضرب من الأدب الشعبى المنمق ، استمد إلهامه من أدب الإسكندرية كمصدر أساسى ، فقد كان على معرفة تامة بكل شاعر لا تينى (وكثير منهم أصدقاء له ، وكانت كتاباته ما جنة ، عابثة ، مرحة ، فيها علم وبهجة ، وكان شعره سلساً سهلا ، ومن المحتمل أنه أبهج أفئدة أناس كثيرين كانوا يشبهونه فى السفسطة والسطحية ، وهذا ما امتاز به عصر أغسطس ، أو بعبارة أدق امتاز به الجانب السيئ من الطبقات العليا التى أطلقت العنان لشهواتها وجمعت بين الترف والإيمان بالخرافات . وكان من الملائم أن يجمع المرء ثروة ، ولكن حتى الأغنياء لم يكونوا طلقاء أحراراً إلا فى إشباع رغباتهم المادية وانطلاقهم الجنسى ، أو — فى أحسن الحالات — خيالهم الشاعرى . كان قرض الشعر فى نظر ڤرجيل وهوراس رسالة مقدسة ، أما عند أوفيد فلم تكن أكثر من استرخاء أو متعة لذيذة .

كان أكثر أشعاره ذيوعاً الغراميات وأشعار أخرى من هذا القبيل ، وكان كتاب المسخ أكبرها ضرراً ، وأشدها طموحاً ، وهو يحوى مجموعة ضخمة من المغامرات الخرافية التى تتضمن مسخاً [٦٣] ولهذا الكتاب شهرة واسعة ولا سيما فى عصر النهضة [٦٤] ، عندما كان كثيرون من الباحثين يتحرقون شوقاً إلى القصص الرومانتيكية الميثولوجية والهراء الذى لا معنى له .

هناك أساطير فى كل الكتب اللاتينية طبعاً ، ولكن أوڤيد قدم شيئاً جديداً ، نوعاً من الموسوعة الميثولوجية يمكن تتبع أثرها فى كثير من المؤلفات فى القرون الوسطى ، ومن أمثلة ذلك Roman de La Rose التى وضعها چان دى مونج (النصف الثانى من القرن الثالث عشر) ، و قد ترجمها تشوسر . وقد قام مكسيموس بلانوديس (النصف الثانى من القرن الثالث عشر) ، بترجمة كتاب « المسخ » إلى اللغة اليونانية .

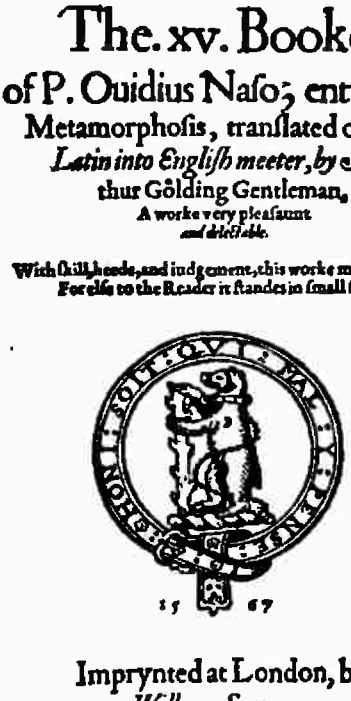
The. xv. Bookes
of P. Ouidius Naſo; entytuled
Metamorphoſis, tranſlated oute of
Latin into Engliſh meeter, by Ar-
thur Gôlding Gentleman,
A worke very pleaſaunt
and delectable.

With skilfull eande, and iudgement, this worke muſt be rede,
For elſe to the Reader it ſtandes in ſmall ſtead.

Imprynted at London, by
Willyam Seres.

شكل ١٠٥ – اوڤيد (٤٣ ق. م. – ١٨ ب. م.) أول طبعة من كتاب المسخ فى اللغة الإنجليزية ، ترجمة آرثر جولدنج (لندن ، Willyam Seres ١٥٦٧) .

وهذا يعنى أن كتاب « المسخ » أحيا الوثنية أو بعبارة أصح استبقى الخيالات الوثنية فى العصور المسيحية . ومن أغرب ثمار الأدب فى العصور الوسطى Ovide Moralisé وهو قصيدة طويلة جداً نظمها Chrétien Legouais of[٦٥] Saint More لشرح كتاب المسخ باصطلاحات مسيحية ، وقد كان هذا

أعظم جهد وآخره بذل لصبغ الأدب الوثنى بصبغة مسيحية .

كان كتاب المسخ أحد الكتب المحببة إلى قلوب الشعراء والعلماء فى عصر النهضة . وقد كانت مصدر إلهام مؤلفات كثيرة ، أمثال كتاب Orlando innamorato (١٤٨٧) ، الذى وضعه Maria Boiardo وكتاب Orlando furioso (١٥١٦) ، الذى ألفه Lodovico Ariosto . وكان هذا المؤلف للفنانين كما كان للشعراء كنزاً مملوءاً بالحكايات المقدسة ، ليفتحوه كلما شعروا بحاجة إلى تنشيط ذاكرتهم . وكانت أدمغتهم ، مع أنهم مسيحيون ، ملأى بالميثولوجيا الوثنية وكثيراً ما مزجوا بين الرموز الوثنية والمسيحية . وقد ساعد كتاب المسخ على نشر اللامعقولية وعدم التفكير المنطقى ولهذا عاون على تعطيل تقدم العلم طوال عصر النهضة .

وإنه لمن المحزن أن نرى العصر الذهبى للأدب اللاتينى يختم بهذه الألعاب النارية الميثولوجية [٦٦]

تعليقات

(١) هذا تكملة لما بدئ فى الفصل الثالث عشر .

(٢) جدر بلدة فى فلسطين فى الجنوب الشرقى من بحيرة طبرية . ويعرف قارئو العهد الجديد شيئاً عن أهلها الجدريين Gadarenoi (إنجيل مرقص ، ٥ ، ١ ، إنجيل لوقا ، ٨ ، ٢٦ ، ٣٧) .

(٣) للحصول على تفاصيل أكثر عن هاتين المجموعتين البيزنطيتين ، وأعنى بهما Anthologia Palatina و Anthologia Plandea.

انظر Introduction, T. 2., p. 974

(٤) ألا باندا فى كاريا . أيمكننا القول بأن هذين الرجلين كانا رجلا واحداً عرف باسم مالا كوس Malacos فى شبابه ، ومولون Molon فى هرمه ؟

(٥) لست أفهم معنى لتلقيبه بمولون (Molon اسم فاعل للماضى البسيط من الفعل blosko يحضر أو يذهب) . وقد سماه سيشرون مولون أو مولو وقد سمى أيضاً أبوللونيوس الرودسى ، ولكن من الأفضل عدم استخدام هذا الاسم لتجنب الخلط بينه وبين رجل أعظم هو أبوللونيوس الرودسى (القرن الثالث قبل المسيح) ، الذى نظم « رحلة السفينة أرجونوتيكا Argonautica» .

(٦) هيبريديس (حوالى ٤٠٠ — ٣٢٢) أحد « الخطباء العشرة فى أتيكا » الذين أحصتهم قائمة الإسكندرية (المجلد الأول ، ص ٢٥٨) .

(٧) فايدروس كاتب الأساطير (حوالى ١٥ ق . م . إلى ٥٠ بعد الميلاد) نفس الاسم ولكن ينبغى فى حالته أن يتمسك بشكله الرومانى وقد ازدهر فى وقت أكثر تأخراً من فايدروس الفليسوف ولكنه عاش فى روما كذلك لقد جاء فايدروس الرواقى إلى روما من مقدونية وكان مولى من موالى أغسطس والحق أن مجموعة من القصص الخرافية كان عنوانها قصصاً إيسوبية لفايدروس مولى أغسطس Phaedri Aug. Liberti Fabulae Aesopiae.

(٨) ارجع إلى تفاصيل أكثر فى الجزء الثالث .

(٩) سمى كالاكتينوس من calé acté بصقلية . (وكلمة acté هى التسمية القديمه لأتيكا وكلمة calé تعنى الجميلة) .

(١٠) كان بطلا هاتين القصيدتين فيلسوفين حقيقيين ، فإيخارموس من جزيرة كوس (القرن الخامس ق . م .) ويوهيميروس من بلدة مسينا (النصف الثانى من القرن الرابع ق. م.) وقد حاكى لوكريتيوس مثال إنيوس بعد ذلك بقرن، عندما أهدى كتابه عن طبيعة الأشياء إلى مجد أبيقور .

(١١) كانت الثقافة اليونانية سائدة فى شمال إفريقية ، ولا سيما فى قرطاجة : ولهذا من المحتمل أن يكون ترنتيوس قد تعلم اليونانية فى طفولته وصباه .

(١٢) رينيه بيشون فى كتابه « تاريخ الآداب اللاتينية » (باريس ١٨٩٨). ص ٨ تجرأ على أن يقارنه بماريفو Marivaux (١٦٨٨ — ١٧٦٣) . وهذا مديح سام حقا .

(١٣) أيسوب Aisopos هو المؤلف الخرافى لبعض القصص الخرافية اليونانية التى تحمل اسمه . وطبقاً لما ورد فى هيرودت (٢ ، ١٣٤) كان أيسوب عبداً فى ساموس أثناء حكم أحمس الثانى (ملك مصر ، ٥٦٩ — ٥٢٥) (المجلد الأول ، ١ ، ص ٣٧٦) . أڤيانوس . كان كاتباً من كتاب القصص الخرافية فى العصور الوسطى وقد كتب باللغة اللاتينية . أما « رومولوس » فلم يكن إنساناً وإنما كان عنواناً لترجمة لقصص فايدروس بالنثر اللاتينى . ولعامة الناس كانت أسماء أيسوب وأڤيانوس ورومولوس ألفاظاً من نوع واحد ، أعنى عناوين كتب مدرسية .

(١٤) على الأقل بعض هذه المقطوعات كانت منتشرة فى القرن الثانى بعد المسيح وكانت المجموعة لدى ڤيندیكيانوس الإفريقى Vindicianus (النصف الثانى من القرن الرابع) The Distichs of Cato Wayland Johnson Chase . كتاب شهير من الكتب المدرسية فى القرون الوسطى (٤٣ صفحة ، ماديسون . وسكونسين ١٩٢٢) النص اللاتينى وترجمة إنجليزية . يحتوى هذا النص على ١٤٤ مقطوعة وقد أضيف إليها ٥٦ بيتاً قصيراً جدا فى العصور الوسطى. وقد نسب النص إلى كاتو الرقيب فى القرن الرابع . وبعد ذلك بقليل نسب النص إلى رجل يدعى « ديونيسيوس كاتو » وقد زاد ذلك من تضاعف الخطأ .

(١٥) Cato's Moral distichi Englished in Couplets

(فيلادلفيا ، طبع ونشر ، ١٧٣٥) . والمترجم هو جيمس لوجان (١٦٧٤ —١٧٥١) . وهذا الكتيب المتواضع أول كتاب كلاسيكى فى اللغة اللاتينية ترجم وطبع فى المستعمرات

البريطانية فى شمال أمريكا . وكان فرانكلين يعرف أن كاتو الرقيب ليس واضعه . ونشر مرة أخرى بالتصوير الشمسى وقدم له كارل فان دورن (لوس انجليس) . نادى الكتاب فى كاليفورنيا ، ١٩٣٩) .

(١٦) بيرسيوس آخر ملك حكم مقدونية (١٧٩ — ١٦٨) . هزم فى پيدنا على يد أيميليوس پولس (سكيبيو) ، والد أيميليانوس . وأخذ أسيراً فى ساموثرا كى وأحضر إلى روما ليزين نصر پولس . مات سنة ١٦٦ .

(١٧) وتسمى الآن Sessa aurunca وتقع على بعد ٣٣ ميلا شمالى غرب نابلى .

(١٨) للوقوف على الكتب والمراجع انظر Oxford Classical Dictionary تحت كلمة Appendix Vergiliana . وإحدى هذه القصائد ، وهى قصيدة كوليكس Culex (والكلمة تعنى بعوضة) تملأ مجلداً ضخماً ألفه شارل بليزنت Cherles Plésent, Le Culex Etude sur l'Alexanderinisme Latin (٥١٤ صفحة ، باريس ١٩١٠) .

(١٩) حاكى سينيكا (النصف الثانى من القرن الأول) هذه الرسائل فيما نشر من رسائل أخلاقية إلى لوكيليوس Epistulae morales ad Lucilium . وبلينى الأصغر (٦١ — ١١٤) ومارکوس كورنيليوس فرونتو (حوالى ١٠٠ — ٦٦) صديق مارکوس أورليوس . ولكن رسائل شيشرون أكبر بكثير .

(٢٠) تيتوس پومپونيوس أتيكوس (١٠٩ — ٣٢) . حمل لقب الأتيكى لأنه عاش طويلا جدا فى أثينا بحيث يعد حقا أتيكيا . وهو من الطبقة العليا وكان من رجال الأعمال الأثرياء ، باشا ، حذراً ، متسامحاً . أحد أتباع أبيقور سهل الطبع ومن أخلص من راسلهم شيشرون حتى النهاية .

ماركوتس توليوس تيرو (النصف الأول من القرن الأول) كان مولى شيشرون وكاتم سره . ابتدع نوعاً من الاختزال notae Tironianae . كتب تاريخ حياة شيشرون وكتباً أخرى قليلة ، وأعظم أياديه أنه عاون على حفظ كتب سيده ورسائله ونشرها .

(٢١) عن رسائل شيشرون ، انظر Gaston Boissier, Cicéron et ses Amis (باريس ، ١٨٦٥) ترجم إلى اللغة الإنجليزية فى سنة ١٨٩٧ وقد أعيد طبعه مراراً .

Jerome Carcopino, Les Secrets de la correspondence de Cicéron

(مجلدان : باريس : Artisan du livre ، ١٩٤٧ ؛ الترجمة الإنجليزية ، لندن Routeledge

١٩٥١) . دافع بواسيه عن شيشرون وآمن بإخلاصه ، أما كاركوبينو فهو لا يثق له به ثقة تامة .

(٢٢) أخذ العنوان من تلك الخطب التى ألقاها ديموستين ضد فيليب ملك مقدونية دفاعاً عن حرية اليونان . والقياس صحيح ، كان شيشرون يدافع عن حرية الرومان ضد ماركوس أنطونيوس . وكثيراً ما يستخدم لفظ الفيليبيات (Philippic Philippica فى اللغة الإنجليزية) فى ذاك المعنى العام . أى دفاع عن الحرية ضد دكتاتوريين أو ضد من قد يصبحون دكتاتوريين .

(٢٣) Cur igitur pacem nolo? qui turpis est, quia periculosa quia esse non potest ..

nec ego pacem molo, sed pacis nomine bellum involutum reformido.

(Philippica 7, III, 9; VI. 19).

(٢٤) أعطينا بعض التفاصيل البشعة فى مقالنا : The Death and Burial of Vesalius and, incidentally, of Cicero (Isis, 45, 131 — 137, 1954).

(٢٥) طبعت رسائل شيشرون إلى أصدقائه Epistolae ad familiares على يد Sweynheym و Pannarty (روما ١٤٦٧) . وقد ظهر بعد هذه المجموعة رسائل أخرى ومجموعات أخرى متنوعة Epistolae ad Brutum (روما ، ١٤٧٠ ، البندقية ، ١٤٧٠) Epistolae ad Atticum (البندقية : ألدوس ، ١٥١٣) Opera epistolica (باريس ، ١٥٣١) ، Epistolae ad Octarium (باريس ، ١٥٣٩) ، Epistolae ad Quintum fratrem (ليون ، ١٥٤٣) . وغيرها . يمكن أن نحكم على الاتجاه الشديد إلى مؤلفات شيشرون فى عصر النهضة من أن ١٨٥ طبعة لها أحصتها Margaret Bingham Stillwell فى مقالها Incunabula in American Libraries, New York, Bibliographical Society, 1940)

(٢٦) هناك قيمة فكرية دائمة فى معرفة لغة أجنبية ، غير أنها فى بعض الأحيان تبدو ضرورة اجتماعية . وكان لزاماً أن يعرف الرومانى فى ذاك الوقت اللغتين اللاتينية واليونانية ، على نحو ماكان الفرنسى يعرف فى عصر النهضة الفرنسية واللاتينية . والألمانى فى القرن الثامن عشر الألمانية والفرنسية ، والكندى فى القرن العشرين الفرنسية والإنجليزية .

(٢٧) أوقف الفصل كله على ذكر فضائل العدد سبعة والتحدث عن كتاب ڤارو Noctes Atticae, 1227, 10 . وقد لاحظ ڤارو فى ذلك الكتاب De Hebdomadibus

أنه ألفه عندما بدأ الدورة السبعية الثانية عشرة من عمره (٨٤) وأنه كتب سبع مرات فى كل مرة ٧٠ كتاباً (٤٩٠) انظر حاشية ٢٨ وحاشية ٣٣ .

(٢٨) أحصى علماء العصر القديم والعصور الوسطى أسفاراً لا مؤلفات كما نفعل . فهم قد يقولون إن جالينوس كتب ٢٦٢ كتاباً ، فى حين نقول بالأحرى إنه كتب ١٢٢ رسالة . ومجموعات فارو السبعة التى ناقشتها من بين عدد كبير من المؤلفات الأخرى التى تبلغ ٣١٩ كتاباً . فالعدد ٤٩٠ على ذلك ليس بمزعج كما يتراءى لأول وهلة .

(٢٩) انظر سيرة مينيبوس والهجائيات المينيبية Satire Menippée فى الفصل الثالث عشر . وهذا الطراز وهو مزيج من النثر والشعر قد اعترف به كوينتليان (النصف الثانى من القرن الأول فى كتابه مبادئ الخطابة Institutiones oratoriae (١٠ ، ١ ، ٩٥) ، ولم يحاكه فارو وحده ، بل حاكاه أيضاً كتاب بيترونيوس Satyricon (عهد نيرون ، الإمبراطور ٥٤ — ٦٨) ، وسينيكا (النصف الثانى من القرن الأول) مارتيانس كاپلا (النصف الثانى من القرن الخامس) .

(٣٠) هذا العنوان مأخوذ من اللغة اليونانية . فكلمة logistoricon هى المضاف إليه فى الجمع لكلمة logistoricos ومعناها « ماهر فى العد ، منطقى » . ولو كان المؤلف يونانيا ، لما أعطى مثل هذا العنوان للكتاب نفسه .

(٣١) لقد استخدمت البقايا التى نشرها باللاتينية والإيطالية ايتورى بوليسانى ،

I logistorici varroniani (123 pp. ; Padua, 1937) (Historia naturalis, XXXV, 2)

(٣٢) يشير بلينى إلى تجديد فارو على أنه benignissiumium inventum وقد قبل فى معرفته الجدل إن الصور كانت تنقل من مخطوط إلى آخر بطريقة الاستنسيل . ومن الطبيعى أن ذلك كان ممكناً وربما أن المصريين استعملوا فيما سبق استنسيل لكتابة حروف هيروغليفية كبيرة على الآثار . وعلى أى حال فقد أدرك فارو قيمة الصور فى تكملة الوصف الأدبى وهذا عجيب جدا .

(٣٣) أغرم الفيثاغوريون بالتحليلات السبعية التى ربما كانت من أصل شرقى (المجلد الأول ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤٩١) . وهناك أمثلة فى التوراة والإنجيل . وأما الديانة المسيحية فتزخر بها : المراسيم السبعة ، والسبع المهلكات ، وسبع جوقات من الملائكة ، وسبعة أحزان ، وسبعة أفراح مريم ، وسبع ساعات كنسية . ويمكن العثور على أمثلة أكثر فى ميادين أخرى .

(٣٤) فى الفصل التالى معلومات أكثر عنه .

(٣٥) لم أستطع أن أعثر على هذا الخبر الذى نقله القديس أغسطين . وإنما أخذته عن Gaston Boissier : Etude sur . . Varron (Paris, 1861), p. 117.

(٣٦) تلك فى الحقيقة مشكلة بالغة التعقيد ، فقد وضعها شيشرون هكذا : « إن من ينكر وجود الخير الأسمى فإنه ينكر الفلسفة جملة » .

(٣٧) الأصل اللاتينى أوجز وأعظم أثراً

"Bona aliena largiri liberalitas malarum rerum audacia Inter (Catilina 521, 11, fortitudo vocatur bonos amicitia, inter malos factio est (Jugurtha, 31, 15).

(٣٨) "Come Livio Scrive che non erra" (Inferno, XXVII, 12)

(٣٩) هذا التكريم فى الحقيقة دولى . فراعى الآداب العظيم يسمى mécéne فى اللغة الفرنسية و mecenate فى اللغة الإيطالية و mecenas فى اللغة الإسبانية و maicénes فى اللغة اليونانية .

(٤٠) هوراس ، Odei Iv. II . ولد ما يكيناس فى وسط Ides أبريل .

(٤١) كان أوكتافيوس وريث قيصر ، سنة ٤٤ ، وقد اعترف له بهذه الصفة تحت اسم جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس . وفى سنة ٢٧ ، منحه مجلس الشيوخ لقب أغسطس ، وأرانى مضطرا إلى تكرير ذلك ؛ لأن القراء قد يغيب عن ذهنهم أن أوكتافيوس وأوكتافيانوس وأغسطس هم عين الشخص ولكن فى تواريخ مختلفة (٦٣ ، ٤٤ ، ٢٧) .

(٤٢) كانت نولا من أقدم البلدان فى إقليم كامبانيا ، تقع فى الداخل ولكنها لاتبعد كثيراً عن نابلى . توفى فيها أغسطس سنة ١٤ ميلادية .

(٤٣) Aeneid هو العنوان الإنجليزى الذى استعمل مدة طويلة جدا حتى أصبح جزءاً من اللغة الإنجليزية . أما الشكل اللاتينى الأصيل فهو Aeneis واسم البطل هو Aenes (Aincias فى اللغة اليونانية) .

(٤٤) تحتوى على ٩٨٩٣ بيتاً ، فهى أقصر من الإلياذة ، بل ومن الأوديسيا . ولتوضيح فكرة عن طول تلك الملاحم والملاحم الأخرى ، انظر الجزء الأول . أما متوسط طول الكتاب الواحد فثمانمائة وأربعة وعشرون بيتاً . ويحتوى أقصر الكتب وهو الكتاب الرابع على ٧٠٥ من الأبيات ، والكتاب الأخير هو أطولها جميعاً وطوله ٩٥٠ بيتاً .

(٤٥) كانت ديدو بنتاً أسطورية لملك صور ، أسست قرطاجة وأصبحت ملكة

لها ، ووقعت فى غرام أينياس الذى اضطر بعد مدة أن يهجرها إطاعة لأمر إلهى فألقت بنفسها فى النار .

(٤٦) « تذكر ، أيها الرومانى ، أن نصيبك المقدور هوأن تحكم الأمم بسلطانك ستكون هذه هى فنونك ، أن تفرض قواعد السلام ، وأن تعفو عن المستسلمين وأن تخضع المتكبرين .

(٤٧) كانت هذه الفترة المستمدة من وجهة النظر الإمبراطورية الحقة مزيجاً طبيعيا فإما أن تصبح الإمبراطورية وثنية وإما أن تفنى . وهناك أفكار مشابهة عزاها بعض الكتاب المسيحيين فى عصر الإسلام الذهبى وكتاب الروس (أمثال دوستوفسكى) فيما يمس الإمبراطورية الأرثوذوكسية وكتاب الإنجليز الذين ربطوا بين الإمبراطورية وكنيسة إنجلترا .

(٤٨) يكفى فقط أن تمر بأذهاننا وحشية وفظاعة ألعاب السيرك والسادية البشعة التى تتجلى فى عيون النظارة .

(٤٩) الاسم إبيروتا Epeirotés يدل على أن كايكيليوس من أصل يونانى ، وقد أعتقه أتيكوس صديق شيشرون قبل سنة ٣٢ . كان لأتيكوس ضياع شاسعة فى إبيروس وقد ورث ثروة أخرى من عمه كونيتوس كايكيليوس . هل هذا هو سبب التسمية ؟

(٥٠) أفاض فى شرح ذلك بتفصيل كبير دومينيكو كومبارينى Vergilio nel Medio Evo (مجلدان ، ليجهورن ، ١٨٧٢ ، طبعة منقحة ، فلورنسة ، ١٨٩٦) ، ترجمة إنجليزية من قلم F. M. Benecke (لندن ، ١٩٠٨) . (كمبردج ، ١٩٣٤) (لبزيس ، ٢٢ ، ٢٦٥ — ٢٦٧ (١٩٣٤ ، ١٩٣٥) .

(٥١) « المقدمة » حـ ٣ ص ١٤٥٧ .

(٥٢) Giuliano Mambelli, Gli annali delle edizione virgilianae Gli studi virgiliani nel secolo XX (١٩٥٤ Olschki) ؛ (٣٩٢ صفحة ، فلورنسة (مجلدان ؛ فلورنسة : سانسونى ، ١٩٤٠) .

(٥٣) Epistoles, I, 20, written C. 20 B.C.

(٥٤) أصبحت مؤلفات هوراس كتباً مدرسية كلاسيكية قرناً بعد وفاته ، إن لم

يكن قبل ذلك . وكان ثناء أغسطس عليه هو مبدأ تمجيده .

(٥٥) ڤينوسيا (ڤينوسا الحديثة) من أعمال أپوليا ، بالقرب من جبل ڤولتور Vultur . وهى فى جنوب إيطاليا من أبعد ما يكون إلى الداخل فهى بلدة صغيرة بعيدة جدا عن أن يرتادها السائحون .

(٥٦) "decisis humilem pennis"

(٥٧) النكبة التى حلت بهوراس وڤرجيل حدثت فى نفس السنة ، سنة ٤٢ ، ولعين السبب : صودرت ضياعهما لتوزع على قدماء المحاربين فى الحرب الأهلية . لاحظ أن مزرعة ڤرجيل كانت فى أقصى الشمال بالقرب من مانتوا ، فى حين كانت مزرعة هوراس فى أقصى الجنوب .

(٥٨) ڤاريوس روفوس ، شاعر مراثى . كان أحد الناشرين لإنيادة ڤرجيل بعد موت ڤرجيل بمدة قصيرة .

(٥٩) وبدقة أكبر ، نعرف أن پروپيرتيوس كان لا يزال حيا عام ١٦ ق . م . ، ولكن من الممكن أنه عاش وقتاً قصيراً ، ومن الممكن أيضاً أنه عاش دون أن تسلط عليه الأضواء حتى بعد وفاة هوراس .

(٦٠) سولمو (سولمونا Sulmona الحديثة) فى أبروتزى وملتزى ، وهى تبعد تسعين ميلا إلى شرق روما .

(٦١) تومیس فى موسيا السفلى ، إلى جنوب دلتا الدانوب ، وتسمى الآن Constanza فى الجنوب الشرقى من رومانيا ، أهم ميناء بحرى فى رومانيا . وقد نفى أوڤيد فى شهر نوفمبر سنة ٨ بعد الميلاد ، ووصل إلى توميس فى ربيع أو صيف سنة ٩ .

(٦٢) السرماتية لغة سلافونية ، والجيتية نوع من اللغة القوطية أو التيوتونية . ويقال إن أوڤيد أجاد تعلم اللغة الجيتية إجادة مكنته من كتابة قصيدة فى هذه اللغة . وددت لو أنها حفظت .

(٦٣) تروى الكتب الخمسة عشر شعراً أكثر من مائة مثال للمسخ . وآخرها (١٥ ، ٨) قصة يوليوس قيصر الذى مسخ نجماً ، تلا ذلك ثناء على أغسطس . وقد انتهى تقريباً من نظمه قبل سنة ٨ بعد الميلاد وراجعه فى منفاه .

(٦٤) أول طبعة لأعمال أوفيد فى ثلاثة مجلدات ، فوليو (روما : سوينهايم ونبارتر ، ١٤٧١) . أول طبعة لكتاب المسخ (ميلان ، ١٤٧٥) ، ومن الممكن أن هذه الطبعة سبقتها طبعة أخرى دون ذكر المكان أو التاريخ . ثم ظهرت طبعة أخرى فى لوڤان حوالى ١٤٧٥ .

(٦٥) يبلغ عدد أبياتها ٦٢٠٠٠ بيت . وكانت فيما مضى تنسب إلى الموسيقار فيليب دى ڤيترى (النصف الثانى من القرن الرابع عشر) .

(٦٦) لا يزال هناك اهتمام عجيب (وهو فى رأيى اهتمام ضال) بكتاب المسخ كما تدل الترجمات الكثيرة التى نشرت حديثاً . ويكفى أن نذكر ثلاث ترجمات إنجليزية من قلم F. J. Miller (مكتبة لويب الكلاسيكية) ، مجلدان ، كمبردج : مطبعة جامعة هارفارد ، ١٩٥١ ، وقلم A. E. Watts مع صور من عمل باباو بيكاسو (بيركيلى ، مطبعة جامعة كاليفورنيا ، ١٩٥٤) وقلم Rolfe Humphries (بلومنجتون ، مطبعة جامعة انديانا ، ١٩٥٥) .